
البيت
القبله
محمود وهبة
إبداع
Haiden Studio

البيت القبلي

رواية

محمود وهبة

الكتـــــاب: البيت القبلي

المـؤلـــف: محمود وهبة

تصميم الغـلاف: Haiden Solutions

المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقـم الإيـداع: 25954 / 2016

الترقيـم الدولـي: 8 - 132 - 779 - 977 - 978

الإخـــراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

إهداء

إلى حلمي الذي ألاحقه؛ في يوم ما سأحكي عنك أنك كنت درجةً في سلم نجاحي، فلا ترهق نفسك بالهرب طويلاً.

*****

* إلى أبي وقدوتي، أحبك.

* إلـى أخـي الأكبـر، أنـت مـن تكتـرث لنا أكثر من نفسك، استمر في ذلك يا أخي ولا تتوقف أبدًا.

* إلى أخي الأصغر، أنت جزء من قلبي، وما زلت أراك ذلك الطفل كثير السؤال، رغم كل ما أنت عليه الآن.

* إلى زوجتي، لو لم أرك لما كتبت كلمة واحدة، ولم أكن لأحقق أي شيء في حياتي سوى القليل.

*إلى أبنائي، من أجلكم أفعل كل شيء وسأفعل.

* إلى صديقي وأخي عيد إبراهيم عبدالله، أشكرك

بشدة لولاك لكنت أبحث عن ذاتي داخل كتاب لم يكتب بعد.

* إلى أخي محمد مختار، أنت صاحب الحلم واهو اتحقق خطوة بخطوة هيكون أكبر بكتير.

مقدمة

فرس يعدو بنفير المستغيث نحو قصر مهيب، ويحمل فوق ظهره جريحًا تتساقط منه الدماء كنهر جارٍ من دون توقف متشبث بفرسه كحبل نجاة أخير انتشله من وسط الموت ويفر به، ساعاته الناهية تلاحق نفسه المتقطع وأنينه يذبح ما تبقى من صوت شاحب غير مسموع، درجات يصارعها المحتضر صعودًا إلى باب القصر، ويغلقه خلفه ببطء ليمكث في ظلام قاتم، يقلب عينيه في شتى جوانب القصر بخوف وأسى.

"١" (داخل ظلام غرفة)

تسير طفلة شاحبة الوجه ترتدي فستانًا أبيض متسخ، تبتسم وهي تقترب من فتاة نائمة في حجرتها، تضع يدها المتسخة على وجه الفتاة وتداعب شعرها وهي تقول:"غادة، غادة، قومي تعالي معايا"، ثم تضحك بصوت طفولي جميل.

تفتح الفتاة عينيها في كسل وتبتسم عندما تجد أمامها الطفلة الجميلة رغم شحوبها، تزيح الغطاء وتقف على قدميها لتبدو شابة فاتحة البشرة، ناعمة الشعر الذهبي، وتمتلك عينين بنيتين، وهي متناسقة الجسد كعارضة أزياء داخل ملبس أعد لها خصيصًا وقت النوم، تمد يدها لتمسك الصغيرة وتسير خلفها في خطوات متخبطة لا تعلم جهتها، تسحبها الطفلة في ممر طرقة طويلة تقود إلى باب ما مفتوح، وهناك ضوء خافت قادم من الخارج، كلما تحركت غادة بخطوات برزت خلفها أوجه وأيادي أطفال متسخة من الحائط، يمينًا ويسارًا تخرج من الحائط وصوت خفيف لبكائهم، قبل أن

يصلوا إلى الباب المفتوح تتوقف الطفلة وقد اختفت بسمتها، وتبدأ في الارتعاش والخوف وتتراجع في فزع، تنظر لها غادة في حيرة وهي تبتسم وتخبرها بأن تكمل إلى الخارج "يلا نخرج من هنا، قومي"، تجلس الطفلة أرضًا وتضع رأسها وسط قدميها وتخبئ وجهها بكفيها وهي تبكي.

تحاول غادة فهم ما يحدث، وتحاول أن تزيح يد الطفلة من أمام وجهها ولكن الطفلة عنيدة متماسكة، وما زالت تبكي ويعلو صياحها، ترتبك غادة وتتوتر لتصيح في الطفلة: "أوعي إيدك من على وشك وقومي معايا". وتنتزع يدها لتجد الطفلة تبكي دمًا غزيرًا وتحول لون عينيها إلى الأسود بالكامل، وتآكلت بعض أجزاء وجهها، وبرزت عظام رأسها تنتفض غادة وترجع إلى الوراء في خوف، لتصطدم في جسد ضخم، تلتف سريعًا وهي مفزوعة لتجد رجلاً ضخم الجسد مفتوح العينين لا جفون له، يركز بشدة على وجه غادة ويصدر أنينًا وهو يحرك يده محاولاً إمساكها.

تلتفت غادة بسرعة لتجد العشرات من الأطفال بنفس مواصفات الطفلة، التي تبكي وهم يمدون أيـديهم إلـى غـادة ويبكـون بشـدة، ويصـرخون باسمها: "غــادة".

تصرخ غادة لتجد أنها مازالت على فراشها وقلبها يدق بشدة، ويدها ترتعش وتسرع إليها خالتها "في منتصف العقد الخامس من عمرها، بطيئة الحركة، ممتلئة الجسد، سمراء البشرة".. وهي تبسمل: "بسم اللـه الـرحمن الـرحيم، أعـوذ بالله مـن الشيطان الـرجيم"، ومـن خلفها تـأتي شـابة طويلة القامة، سـمراء البشـرة، تظـهر عليـها علامات النوم وهي مفزوعة وتقول: "إيه في إيه يا ماما؟ في إيه يا غادة إيه اللي حصل؟!".

بكاء متواصل من غادة دون رد، ويد خالتها تمر على ظهرها وهي تتمتم بآيات ودعاء متواصل ثم تقول: "روحي هاتي يا كاميليا يا بنتي كوباية مية لغادة بسرعة".

تسرع كاميليا وتعود ومعها كوب من الماء، تقترب

وتعطيه إلى غادة في أسى، تمد غادة يدها إلى الكوب وهي تنظر إلى كاميليا وتمسك بالكوب بيد مرتعشة، تمسح دموعها بالأخرى، ثم تأخذ عدة رشفات من الكوب وتضعه جانبًا، تلف يدها أمام قدمها وهي شاخصة العينين وتهتز في صدمة.

تنظر لها خالتها في شفقة وتقول بصوت خافت: "أنت بطلتي الدوا ولا إيه يا غادة؟، هي الكوابيس رجعت تاني؟!".

تنظر لها غادة في صمت وترتعش لتتذكر ما حدث وتعود إلى البكاء لتهرع إليها كاميليا وتحتضنها وتدمع عين خالتها وهي تقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله، إيه بس اللي جرالك يا بنتي، من بعد موت أبوكِ وأمك ده، اتشقلب حالك وصحتك راحت".

*****

في عيادة طبيب نفسي تدخل شابة جميلة في منتصف العقد الثالث شقراء الشعر والبشرة، متناسقة الجسد ترتدي حذاء "كعب عالي" و"جيب

أبـيض ضـيق" و"بلـوزة حمـراء"، تتجـه إلـى السكرتارية في خبطات على الأرض لها وقع السحر على أذن الرجال داخل العيادة، وعطر نافذ الحكم علـى قلـوب مـن يستنشقه، تخـرج "كـارت" يحمل اسم شركة"build your way"، وهي مبتسمة وتقول للسكرتيرة: "أنا عندي ميعاد مع دكتور حازم، ممكن تقولي له إني وصلت".

تنظر لها السكرتيرة في حيرة، فهي بالتأكيد ليست مريضـة أتت طلبًا للعلاج فتستشف ما تفكر فيـه وتكمل: "آه بالمناسبة اسمي سلمى، هو عارفني أنا مـش جايـة أتعـالج"، ثـم تـذهب لتجلـس وسـط المرضى بنظرة متفحصة.

ترفع السكرتيرة سماعة الهاتف وتتصل وعينيها ما زالـت معلقة علـى سلمى، فيجيب الدكتور حـازم: "أيوه، أمممم، آه صح خلاص خليها تدخل حالاً".

دقـائق وتـذهب السـكرتيرة إلـى "سـلمى"، وتخـبرها بأن الدكتور حازم طلب رؤيتها، تقف في ابتسامة وتتحـرك ببطء وهـي تلتفت إلـى ديكور العيـادة

وتتغير تعابير وجهها، لتظهر عدم إعجابها بذوق الديكور.

تدخل "سلمى" وتتجه إلى دكتور "حازم"، الذي بادرها بالذهاب إليها، وسلم عليها بابتسامة من شخص وسيم لشاب في الثلاثينيات أبيض البشرة، لديه لحية محددة لتضيف جمالاً على ابتسامته المشرقة، وهو صاحب جسد متناسق متوسط الطول.

"أهلاً وسهلاً آنسة سلمى، إن شاء الله تكوني بخير"، كلمات من دكتور حازم وهو يبتسم، ويشير إليها لتجلس ويجلس هو أمامها.

تجيب سلمى في دلال: "أنا كويسة، المهم حضرتك تكون فكرت في العرض اللي شركتي عرضته عليك من أسبوعين، وحضرتك مردتش فقلت أكلمك أنا، يمكن أعرف أوصل لحل معاك"، تبتسم وتقترب من حازم وتقول: "أصلي اتحديتهم وقلتلهم إنك مش هترفضلي طلب"، وتعود بظهرها لتستريح.

يقف حازم في محاولة للفرار من جمالها وعطرها، ويعـود إلى مكانه خلف مكتبه، بعد أن أحس بما تريد إثباته سلمى، "أنا والله فكرت بس لسه في حاجات مش واضحة بالنسبة لي يا آنسة سلمى هي اللي مخلياني متأخر في الرد".

تصدر سلمى ضحكة قوية، وهي تقول: "ما بلاش آنسـة، إحنـا هنشـتغل مع بعض وهنفضل ١٥ يـوم وشنا في وش بعض مع كام واحد وواحدة كمان، كل شوية هتبقى تقولي آنسة، آنسة؟!".

يبتسـم بـإحراج حـازم ويفك ربطـة عنقـه قليلاً "الكرافتة الخاصة به"، ويقول: "مش قصدي بس إحنا لسه دي تاني مرة نتكلم ولسه منعرفش بعض يعنـي"، تقاطعه سـلمى: "فيـا ريـت نشيل التكلفة عشان نقرب وجهات النظر، ماشي يا حازم؟!".

يبتسم حازم ويقول: "ماشي يا سلمى"، ثم يقف ويدير ظهره إليها وهو ينظر من شرفة مكتبه إلى الشارع والسيارات أسفل العقار، والازدحام ويكمل:

"طب نتكلم في الشغل، في حاجات مش واضحة بالنسبة لي لحد دلوقتي هي اللي هتحدد ردي".

تقف سلمى وتتجه إلى حازم على مقربة منه دون شعور منه وتهمس بالقرب من أذنه: "زي إيه؟"، يلتفت بسرعة حازم بتوتر ويجلس على مكتبه وهو مرتبك، ويقول: "زي...زي إيه الاستفادة ليكم من تجربة زي دي، وخصوصًا أنها بعيدة عن مجال السياحة اللي هو شغلكم الأساسي".

تعود سلمى إلى مكانها، وتجلس واضعة قدمًا على قدم في وضع أنثوي جذاب، وتقول: "لا كده يبقى لازم مقابلة برة المكتب على روقان، عشاء عمل عشان ده موضوع هيطول شرحه يا حزومي، وهيكون في مناقشة ويا تقنعني يا أقنعك، وده أكيد "تفتح حقيبتها وتخرج "كارت"، ثم تقف وتعطيه "كارت" خاصًا بها وتتجه ناحية الباب، وهي تقول: "تشاووو، بالمناسبة ده رقمي الخاص، مش رقم الشغل"، تلتفت بدلال وتتجه إلى باب المكتب وتغلقه خلفها.

يمسك حازم الكارت بيده ويفك ما تبقى من ربطة عنقه "كرافتة" بالأخرى يقرب الكارت من أنفه ويأخذ نفسًا عميقًا، ويقول: "ست غريبة أوي، إيه ده، بس حلوة أوي"، يبتسم ويلقي بظهره على الكرسي ثم يتذكر عمله سريعًا، يضغط على زر استدعاء السكرتيرة فتجيبه ليقول لها: "في كام حد تاني برة"، فتجيبه بـ"٤ يا دكتور"، فيقول: "طب دخلي اللي عليه الدور بسرعة".

*****

"أنت متأكدة أن الموضوع مش هيتكشف يا علا؟ أنتِ عارفة إن الموضوع لو بان هتبقى مصيبة"، قالتها فتاة في منتصف العقد الثالث من عمرها، متوسطة الطول، صاحبة بشرة قمحية وشعر أسود لامع، وهي تتحدث إلى صديقتها عبر الهاتف وعينيها دامعة.

جاءها الرد من علا: "يا بنتي أنتِ مش عاوزه تخلصي من مصيبتك دي؟ يبقى مفيش غير الدكتور ده، هو الوحيد اللي سعره حنين، وكمان

شاطر، يعني مفيش خطر عليكِ، بس أنتِ حضري الخمسـتلاف جنيـه عشـان لزوم العمليـة الأولـى، والتانية، وهترجعي زي الأول تمام".

وضعت الفتاة يدها على رأسها في أسى، وقالت: "خــلاص خــلال أسـبوع هكـون جـهزت المبلـغ، وهقولـهم إنـي طالعـة سـفرية تبع الشغل يومين، ونخلص الموضوع ده، ربنا يستر بقى".

قالت علا: "متخافيش يا بسمة، أنا هكون معاكِ لحد لما نخلص المصيبة دي، وبعدين نبقى ناخد حقنا مـن ابـن الكلـب اللـي عمـل عملتـه وهـرب، بـس هنوصله يا حبيبتي اطمني".

أغلقت بسمة الهاتف، وهي تبكي وتضع يدها على بطنها في حزن وأسى، وسرعان ما أحست بوعكة فهرولت ناحية دورة المياه ماسكة على فمها حتى لا تتقيأ.

"٢" (داخل مكتب لرجل أعمال)

بالقرب من "فنجان" قهوة خالٍ يرن هاتف جوال فيلتقطه رجل "أبيض الشعر والبشرة وسيم الوجه ويرتدي نظارة طبية، يجلس على كرسي جلد أسود، ويرتدي بدلة أنيقة سوداء"، يلتقط الهاتف بيد وفي الأخرى سيجار فاخر غالي الثمن مشتعل، يضغط زر الإجابة بتململ وانشغال في أوراق أمامه "أيوه أنا حمدي البنداري، مين معايا؟" فيتلقى ردًا يضايقه فيعتدل في جلسته في عصبية مستمع لما يقال له ويرد بتعجب: "ابني" ثم يستمع مرة أخرى ويكمل: "شكرًا لحضرتك يا سيادة النقيب، خلاص أنا مسافة السكة وهكون عندك، بس أستأذنك محدش يعرف بأي حاجة من دي أنت عارف وضعي كويس، الواد ده مشكلتي الوحيدة"، يستمع بحرص وتتغير معالم وجهه لابتسامة فيقول: "بجد شكرًا ليك ومش عارف أرد جميلك ده إزاي، ميرسي أنا أقل من ساعة وهكون عندك، ولا أقولك إيه رأيك تيجي تشرب معايا هنا

القهوة، يكون أفضل وندردش شوية؟!" يغلق الهاتف وتتغير ملامح وجهه ويطلب رقمًا آخر من هاتفه الجوال، وعندما يجيب يقول: "اسمع كويس اللي أنا هقولهولك حالاً ونفذه بالحرف!".

*****

يفتح لها باب المصعد فتدفعه جانبًا وتمر خروجًا من المصعد، متجهة في غضب إلى باب شقة، تدلف مفتاحها وتدخل إلى شقة فاخرة المحتويات عظيمة المساحة، ويتبعها شاب في منتصف الثلاثينات أبيض البشرة خفيف الشعر متوسط الطول، يرتدي نظارة طبية وقميصًا أبيض وبنطلون قماش أسود"، يدخل خلفها ويغلق باب الشقة في خيبة وحزن.

يبحث عنها في كل أرجاء الشقة مناديًا: "ناهد! ناهد! أنتِ فين يا حبيبتي"، يدخل غرفة النوم ليجدها تجلس أمام المرآة في ضيق، تنزع حلقها وتستبدله بحلق آخر باهظ الثمن، يقترب منها ويحاول وضع يده على كتفها فتنهره: "أنت إيه يا

أخي، مبتحسش بقالنا ٤ سنين رايحين جايين على الـدكاترة ومفـيش فايـدة وأنـت تقولـي اصـبري، اصـبري!، قـرفت، أنـت شـكلك مش هتتعالج أبدًا، مامي كان عندها حق!".

يبتعد عنها من كلامها الجارح ويجلس على الفراش وهـو ينظـر إلـى انعكـاس صـورتها الجميـل، ويقـول بغضب دفين: "بصي، اعملي اللي إنتي عاوزاه، لو عاوزاني أطلقك هطلقك، بس أنا مكنتش متوقع إنـك كـده، أنـتِ أقـل كتير من اللي أتخيلته فيـكِ زمان!".

تنظر له في تقزز وتقول: "عاوزني أعيش ليه مع حــد مبــيخلفش يــا ســي عــلاء، آه عنـدك فلـوس واتجوزنا عن حب، بس الفلوس والحب مش كل حاجة، أنا لما أكبر عاوزة أشوفلي عيل يقف جنبي، أفرح لما أشوفه".

ينظر لها في غضب ويقف مبتعدًا إلى خارج الغرفة قائلاً: "بس أنا بقى عمري مكنت هعايرك ولا هطلب منك إني أتجوز غيرك لو كنتِ أنتِ مبتخلفيش،

بصي أنا مبقاش فيّ نفس للكلام معاكِ أو مع غيرك، أنا نازل"، تتركه يخرج من باب البيت وتقول: "في ستين داهية، إيه اللي رماني الرمية دي يا ربي، لا أنا لازم أخلص من المصيبة دي"، تسحب حقيبة يديها وتخرج هاتفها وتطلب رقمًا وتتصنع البكاء وتقول: "مامي هاتي بابي وتعالي بسرعة أنا عاوزة أطلق، الحيوان مد إيده على بعد لما رجعنا من عند الدكتور وتحاليله طلعت زفت كالعادة فتعصب على وضربني".

"امضي هنا يلا ومتبقاش تتشاقى تاني لحسن وحياة أهلك هنجيبك هنا تاني وننفخك تاني"، قالها رائد داخل مكتبه وأمامه شاب ينظر إلى الأرض في انكسار، وهناك من يجلس بالطرف الآخر للمكتب ينظر إلى ذلك الشاب، "أسمر البشرة قصير القامة، حاد العينين".

يقترب الشاب بصعوبة متألمًا ويمسك بالقلم ويكتب اسمه، ثم ينظر إلى عين الرائد بخوف وانكسار ويقول: "لو أنتوا عاوزينها كده، خلوها

كده، هي مبقتش تخصني في حاجة تاني خلاص، هي ليها أصحابها واللي زيك حامينهم!".

يقف الضابط منفعلاً، ويقول: "أنت لسه محرمتش من الشعارات دي يلا؟!"، يقف من يجلس أمامه محاولاً تهدئته، وهو يقول: "باشا اهدي بس عشان خاطري، إحنا اتفقنا خلاص".

يجلس الضابط وهو ينظر إلى الشاب في غضب ويقول محاولاً الهدوء: "الله يخرب بيت اللي ملا دماغكم بالكلام ده يا ابني، أنت لازم تعرف يا عادل إننا هنا عشان نحمي البلد، وأنت واللي زيك حتى لو كنتوا مش قاصدين بتدوا فرصة لغيركم يخرب في البلد، ولولا أدهم باشا وفرحه القريب على أختك مكنتش أتوسطتلك وخرجتك، بص شوف حياتك وابعد عن البهدلة دي، وأنا قطعت ملفك اللي في أمن الدولة خلاص، مع السلامة بس خد بالك، ممكن نعمل ملف جديد"، ينظر له الشاب دامع العينين ويخرج برفقة الضابط الآخر، مستندًا عليه، يدلف إلى سيارة بصعوبة وتألم ويدخل بجانبه

أدهم ويقول: "يا عادل ارحم نفسك وارحم أهلك من الخوف عليك، أنت بتعمل ليه كده بس؟!".

ينظر له عادل في تعب وألم شديد ويقول: "أنت مش عارف ليه يا أدهم يعني، أنت شايف إيه حلو في البلد دي عشان يتسكت عليه؟".

يدير أدهم السيارة ويقول: "بص يا عادل أنت خليك بره الليلة دي عشان أنت العين عليك، وأنا تعبت أوي عشان أخرجك، خليك في حالك وعيش أو سافر بره".

يضع عادل رأسه على مسند الكرسي ويغمض عينيه، ويقول: "خلاص يا أدهم متخفش أنا اللي شفته جوه الأيام اللي فاتت دي هيخليني مفكرش تاني لا في بلد ولا غيره، أنا عاوز أستريح".

يخبط أدهم على كتفه برفق ويطمئنه: "خلاص الموضوع خلص يا عادل ومحدش هيقربلك تاني"، ثم يقود السيارة خروجًا من جراح مظلم.

شابة فاتنة في العشرينات من عمرها، "طويلة،

فاتحة البشرة، خضراء العينين، شقراء الشعر"، تهبط من سيارتها المقابلة لعقار مكون من ٥ طوابق في منطقة راقية، وهي تتحدث في الهاتف مع صديقتها بتفاخر: "طبعا يا بنتي أنا بابي ومامي عايشين في كندا وبينزلوا كل فترة، وأنا ساعات بروحلهم في الإجازة، وكل مرة أرجعلي بتاع مليون دولار أو أزيد بس أنا محتاجة أبيع العربية عشان أنا خلاص هسافر وأعيش هناك على طول"، تسكت لتستمع إلى صديقتها أثناء دخولها الشقة الفاخرة خالية من جميع الأثاث، إلا من كرسي "فوتيه" ومنضدة تحمل شاشة عملاقة تتوسط الصالة.

تدخل إلى غرفة النوم وهي تخلع حذاءها وترد معلقة على ما تسمعه: "بصي لو جابت ١٠٠ ألف كويس، هي أصلاً موديل السنة اللي فاتت، بصى عمومًا اللي عاوزها يأخذها ويبقى يدفع بعدين، الفلوس مش مهمة بس كنت عاوزة أعمل بيهم شوبينج من دبي قبل ما أسافر كندا"، تصدر ضحكة وتغلق الهاتف قائلة: "ماشي يا جيداء هانم

سبنالك العز كله، سلام".. وترتمي على الفراش، ناظرة إلى السقف لتبدد ابتسامتها رويدًا كشمس تغيب في غياهب البحر وقت الغروب!

ثوانٍ من التفكير وبدأت دموعها تنهمر من عينيها، مكملة طريقها إلى جانبي وجهها، ثم تعتدل وتمسح دموعها وتنظر إلى برواز معلق لصورة تخص رجلاً وسيمًا وقور المظهر، وسيدة تشبه البنت تمامًا، ولكنها أكبر منها سنًا، تقف وتقترب للصورة وتقول: "أنتوا السبب في كل اللي بيحصلي، أنا بكرهكم"، يقاطعها صوت هاتفها وعندما تجيب تجد صوت شاب يقول: "مادلين حبيبتي، وحشتيني"، تستلقي على الفراش مرة أخرى وهي تقول:"وأنت كمان يا حبيبي، هنخرج فين النهارده يا مارو؟"، وتعود إليها بسمتها من جديد.

*****

تهبط غادة من سيارة أجرة "تاكسي" أمام عقار يضم إحدى العيادات لطبيب نفسي، تتابع معه

حالتها النفسية المتدهورة بعد وفاة والدها وأمها في حادثة مأساوية من شهور قليلة مضت.

تضغط زر المصعد لطلبه، تخلع نظارتها الشمسية، لأنها الآن في جوف العقار، يصل المصعد بتروٍ وتكاسل وصوت مزعج، تنتظره بملل وهي شاردة الذهن، تتذكر كوابيسها المستمرة، تدلف داخله وتغلق بابه لتلمح يدًا صغيرة متسخة تمنع انغلاق الباب وتجذبه بقوة، تصرخ وتقع من يدها النظارة وتتفكك مفاصلها، يهرع حارس العقار إلى المصعد ويفتح الباب متسائلاً: "في إيه يا ست؟"، ليجد غادة تصرخ وهي مرتعبة وتضع يدها المرتعشة أمام فمها، ثم سرعان ما تتماسك من رؤية حارس العقار وتهدأ وتقول: "مفيش حاجة، أصل النور قطع فجأة وجه وأنا أعصابي تعبانة شوية"، تلتقط النظارة الشمسية المهشمة بيد مرتعشة، تعتدل وتضغط على رقم ٣، يغلق حارس العقار الباب ويخبط كفًا على الآخر ويقول: "ربنا يتوب علينا من الدكاترة النفسية والمخابيل اللي بيجولهم".

*****

يغلق دكتور حازم السيارة، وهو مرهق بعد عمل يـوم شـاق طويـل، يفتـح بوابـة حـديدية صغيرة تفصل بين بيته المكون من طابقين وبين الشارع الرئيسي، يدلف إلى داخل بيته وهو يخلع ملابسه في عجلة لأخذ "شاور" يرطب جسده المرهق، يضع مفاتيحـه ويلقـي ببـذلته الأنيقـة علـى الفـراش، ويتجه إلى طرقة طويلة تؤدي إلى مطبخ مفتوح على الطريقة الغربية، يفتح الثلاجة ويلتقط تفاحة يقضمها ويتجه إلى ملاذه الأخير بعد يوم مرهق طويل، في استرخاء داخل "البانيو"، ووسط المياه الباردة التي تتخلل جسده ماحية آثار طقس حار يسمع صوت هاتفه يرن في الخارج، قاطعًا عليه شعوره الجميل.

يخرج مستترًا بروب استحمام ويلتقط هاتفه ليجد على الشاشة مكتوب "سلمى المجنونة"، كما سماها كي يكون اسمًا مميزًا، يأخذ نفسًا ويجيب ليأتي الرد: "ليه التقل ده يا حزومي لازم ترد بعد رنتين

تلاتة كده، موحشتكش يعني؟"، يتردد في كلماته "لا مسمعتش بس التليفون"، تجيبه بجرأة: "كنت فين يا شقي، كنت بتعمل إيه؟ قولي آجي أعمله معاك"، يتورد خده ويقول بنبرة حادة: "كنت قاعد بتفرج ع التلفزيون وصوته كان عالي يا سلمى".

يأتي صوت ضحكات من الهاتف فينظر إلى الهاتف بتقزز ويضعه بالقرب من أذنه، ليجدها تقول: "ها فكرت نتقابل أمتى يا حزومي؟، أنا بقول بكرة كويس أصلك وحشتني موت وعاوزه أشوفك، وكمان جيبالك عرض معايا كويس من الشركة، من مدير الشركة نفسها، يعني من تركيا!".

ينظر حازم إلى ساعة الحائط، ليجدها الثانية فجرًا فيقول: "الوقت متأخر دلوقتي أنا هنام لأني تعبان وهكلمك بكرة، عشان نحدد ميعاد، أوك؟!".

تجيبه سلمى في دلال: "طب يرضيك تسيبني مستنية مقابلتك بالشكل ده!، بص أنا هستناك بكرة في "كوستا" اللي في المعادي الساعة ٦، أنا عارفة إنه قريب من بيتك صح؟"، ثم تصدر ضحكة

تستفز بها مشاعر حازم فيجيب: "ماشي يا سلمى، تصبحي على خير"، تجيبه بصوت ممتزج بحنية ودلال: "وأنــت مــن أهلــه يــا روحــي، آه أقصـد حزومي".

يغلـق حــازم الـهاتف ويبتلـع ريقـه، وهـو يقـول: "بـارانويا أنـا عـارف الحـالات دي، بس حلـوة بنت الإيه!".

"٣" (بعد عمل يوم شاق)

تودع غادة أصدقاءها بالعمل، وفي سرية تخرج علبة صغيرة من دواء أصر الطبيب النفسي على تناوله يوميًا في ميعاد محدد، من دون تأخير، كي تشعر بتحسن حتى تنتهي كوابيسها المستمرة، أفرغت غادة "حباية" من الدواء المهدئ ووضعته في فمها سريعًا، وتوجهت إلى "مبرد العمل"، وملأت كوبًا من المياه وابتلعت الدواء.

خرجت غادة من مقر عملها ووضعت النظارة المانعة لأشعة الشمس، أحست بشرود قليلاً، لكنها استعادت تركيزها، صداع ينتابها فجأة فوضعت يدها على جبينها، خلعت النظارة ومسحت على جبينها، لمحت في الجهة المقابلة للشارع طفلة صغيرة جميلة الوجه، متسخة الملابس غير التقليدية تنظر لها ببراءة وتبتسم، ابتسمت غادة لها، أشارت لها الطفلة على أحد ما يسير بخوف، لم تفهم غادة مغزى تلك الإشارة، لكن ما جذب انتباهها أن ملبس ذلك الشخص غير تقليدي قديم

الطراز، هرولت الطفلة خلف الرجل متخفي الوجه، غريب الملبس، وهي ما زالت تشير وتصرخ بصوت مكتوم، انتبه لها الرجل وجذبها وكمم فاهها وأخذ ينظر حوله ليتأكد أنه لم يره أحد، لمح غادة تنظر له، رفع عينيه في عينيها، تنهدت غادة بخوف، وقبل أن تتبين ملامحه مر أتوبيس ليفصل بينهما وعندما مر لم تجد أحدًا، ارتبكت وأحست بأنها ستسقط أرضًا، وقبل أن تفقد توازنها أمسك بها رجل يرتدي جلبابًا أبيض ناصعًا وبشرته بيضاء محاطة بذقن أنيقة مهذبة.

نظرت له غادة في ذهول ممزوج بخوف، فابتسم لها وترك يدها بعد أن أحس بأنها استعادت اتزانها وقال: "الأرواح بتتلاقى في الملكوت يا بنتي، واللي باع نفسه مبقاش يملكها وبقى تابع، واللي عليه دين لازم يوفيه في يوم معلوم"، ثم ابتسم وأخذ يسبح على "مسبحته الضخمة"، ومر من جانبها تاركها في ذهول وعدم استيعاب لهذا الكلام الغريب، ولكل ما حدث للتو.

ارتدت نظارتها الشمسية، وأخذت تنظر له وهو يسير في بطء يعبر الشارع بهدوء وسكينة، ظلت شاردة حتى حضرت صديقتها وهزتها بقوة فأصدرت غادة صرخة مكتومة، أربكت زميلتها، وسرعان ما ضحكت وقالت لغادة: "في إيه يا بنتي أنتِ ليكِ في العواجيز ولا إيه؟"، نظرت لها غادة في محاولة لفهم ما ترمي إليه وقالت: "قصدك إيه؟"، فردت زميلتها: "الراجل البركة اللي لحقك قبل ما تقعي على الأرض بتبصيله لحد لما بعد خالص، يبقى معجبة بيه!"، نظرت لها غادة في حيرة: "هو أنتِ شوفتيه؟"، ردت زميلتها بعد أن اختفت بسمتها، وقالت: "يعني إيه شوفته؟ آه شوفته عادي".. نظرت لها غادة في تعجب وأكملت، "طب شوفتي الراجل اللي خطف البنت الصغيرة، كان لابس لبس غريب؟".

ردت زميلتها "بنت إيه وراجل غريب إيه؟ لا مشفتوش، أنتِ كويسة؟". سكت الاثنان لتبدد الصمت غادة، بعد أن ارتدت نظارتها قائلة: "ها هنتغدى فين النهارده؟ أنا جعانة أوي".

*****

داخـل غرفـة محكمـة الغلـق مـن كـل الاتجـاهات والنوافــذ يــدخلها "حمـدي البنـداري"، وخلفـه ٣ أشخاص يحيطون به كظله من جميع الاتجاهات ليجـد شـابًا ملقى أرضًا يـرتعش، طويـل الجسـد نسـبيًا، وعندما أدار وجهه لينظر إلى الموجودين ظهرت ملامح الإرهاق على وجهه الأسمر.

اقتــرب "حمـدي البنـداري"، وركـل الشـاب بقدمه وقال: "أنت عارف يا ابن الكلب أنت، أنت مشكلتي الوحيـدة فـي الدنيا دي، أنت لـولا أنـك ابنـي كنت دفنتك مكانك دلوقتي".

اعتدل الشاب متألمًا، وقال بصوت يشوبه التعب والإرهاق، "وأنا لو أطول اتبري منك واختفي من حيـاتك مـش هسـتني لحظـة واحـدة فـي بيتـك، وفلوسك دي كلها ولا ليها لازمة عندي".

يتعصب "حمدي"، ويصيح وهو يجذب "سليمان" بقـوة ويقـول: "أنـت إيـه؟ عـاوز إيـه عشـان تبقـى

كويس، اللي أنت فيه من عز وفلوس نص شباب مصر بيتمنوا ربعه، وأنت رايح تضرب بيه ماكس وتشرب حشيش يا زبالة"، ثم ألقاه أرضًا وأشار إلى أحدهم كي يدخل من بالخارج.

دقائق ودخل شاب يحمل بيده عدة أدوية وحقن وبدأ في إعطائها لـ"سليمان"، وهو يقول: "دي شوية فيتامينات عشان تعوض النقص الكبير اللي عندك، أعراض الانسحاب مش هتبقى زي كل مرة، المرة دي أقوى لأنك بتاخد حقن ماكس وبتشم"، قال آخر كلماته وهو ينظر إلى "حمدي"، الذي انفعل وقال: "كمان شم يا ابن الكلب يا ريت تموت يا أخي وتريحني منك ومن قرفك".. ثم وقف وعدل من ملابسه وشعره، وقال موجهًا كلماته إلى الطبيب وابنه: "مش هيخرج من هنا إلا وهو سليم وهسفرك بعد كده بره تتعالج وتتأهل وتشتغل وتبقى ابني بصحيح، يا إما كده يا إما هدفنك صاحي، دي آخر فرصة ليك يا زبالة"، ثم خرج وأتبعه من يحيطونه لحمايته، تاركًا "سليمان" يسبه، وهو يحاول منع الطبيب من إعطائه حقنة

إضافية ترخي أعصابه، وتجعله يذهب في نوم عميق، وهو يكمل سبه لأبيه.

*****

رجل مهيب يتحدث بعصبية مفرطة، ويأخذه السعال للحظات، وبعدها يكمل: "أنت لازم تطلق بنتي أنت فاهم؟ أنت فاكرها سايبة ولا إيه؟ مش كفاية مستحملاك، وكانت مخبية مصيبتك عننا ٤ سنين بحالهم؟".

ينظر له علاء وعلى وجهه نظرات وبسمات سخرية ويرمق ناهد، التي تصطنع البكاء والخوف منه، ويترك الرجل يكمل ما نقلته له ابنته الكاذبة صاحبة الوجهين!

يظل الرجل لدقائق كثيرة ينهر علاء الصامت، وتتناوب الأم عليه بكلمات جارحة لا نهاية لها، لتستفزه وتنال من كرامته لينفعل علاء على غير طبيعته الهادئة قائلاً: "بنتكم طالق يلا في ستين داهية"، ثم ينظر إلى ناهد ويقول بعصبية والجميع

في ذهول: "أنتِ طالق يا هانم يا بنت الأصول، أنا ميشـرفنيش أعـيش مـع واحـدة بوسـاختك أنـتِ وأهلك"، يريد أن يتحدث الرجل وهو يقف ليلتفت لـه عـلاء في غضب ويقول: "أنت تطلع بره أنت ومراتك العرة دي وبنتك المتربية، يلا غوروا في داهية بره بيتي".. يهرع الجميع حتى ناهد يتحول بكاؤها إلى خوف وفزع وتلحق بأبيها وأمها.

يجلس علاء أرضًا وهو يبكي ويزيل النظارة من وجهه، وينظر إلى أعلى ويردد: "كده برضه، كده".

*****

داخل "كوستا" كافيه مع غروب الشمس الظاهر من خلف زجاج الكافيه تنظر سلمى وهي تتحدث إلى أحد بهاتفها إلى د. حازم وهو يرتجل من سيارة متجهًا نحو باب الكافيه فتقول: "أوك هكلمك بعد لما أخلص معاه تشاوو!".

مع دخول "حازم" إلى الكافيه تشير له سلمى بشكل ملحوظ لينتبه الجميع إلى من سيأتي، ويجلس

أمام تلك الفاتنة اللافتة للانتباه في كل تصرفاتها ومظهرها الجذاب.

يجلس أمامها "حازم" بابتسامة ساحرة لا تحمل سوى طيب النية، تقابلها نظرة من سلمى تربك حازم وتتغير ملامحه، فتصدر سلمى ضحكة مكتومة وتقول: "هو في حد لسه بيتكسف اليومين دول يا حزومي؟ أنت بجد محصلتش".

ينظر لها "حازم" ويعيد ابتسامة زائفة ويقول: "طب آدينا أتقابلنا ممكن بقى نتكلم جد في عرض شركتك، وبعدها هبقى محتاج أسالك شوية أسئلة ممكن؟!".

تنظر له سلمى بإعجاب وتقول: "ماشي يا حزومي بس قبل كده تعال نشرب حاجة عشان تصحصحنا للشغل، تشرب إيه؟!".

ينظر "حازم" إلى قائمة المشروبات ويقول: "إسبريسو".

تشير سلمى إلى أحد العاملين فيأتي وينتظر

الطلب فتقول له: "إسبريسو لدكتور حازم، وأنا بلاك كوفي من غير سكر"، ينصرف فتكمل هي: "ها قولي بقى أسئلتك أنا جاهزلك النهارده!".

يجيب حازم: "لا، الأول اشرحيلي العرض بتفاصيله وبعد كده الأسئلة بس قبل كده أنا عندي سؤال واحد محيرني".

تستند سلمى إلى الكرسي وتلقي بكامل تركيزها لما سيقال فيكمل حازم: "من صاحب الشركة دي وإيه الهدف من المشروع ده؟".

تبتسم سلمى وتقول: "وده اللي هجاوبك عليه في الآخر خالص".

*****

بعد غروب الشمس بدقائق قليلة بسمة تخرج من عقار قديم بأحد الأحياء الشعبية، وهي تتلفت وتلف بحجاب فوق رأسها، وتضع يدها على بطنها بعد أن أخبرت ذويها بأنها ستمكث في عملها لمدة يومين بسبب ضغط العمل، وعدم تمكنها من

الإفلات منه.

أخرجت هاتفًا من حقيبة يدها وأجرت اتصالاً وهي تشير إلى "ميكروباص"، وأخرجت رقم صديقتها "عـلا" وأجـرت اتصالاً، وعندما أجـابت تحـدثت بصوت خافت، وهي تتلفت داخل "الميكروباص"، "أيوه يا علا أنا نزلت خلاص وعملت اللي اتفقنا عليه، هقابلك هناك! أوعي متجيش، أنا مش عارفة حد هناك".

تجيبها "عـلا" بثقـة: "قولتلـك متقلقيش أنا معاكِ ومش هسيبك يا حبيبتي، بس أهم حاجة معاكِ الفلـوس كاملـة أصـل دول مـا بيبقوش حاجـة، حرامية ولاد كلب بس محتاجينهم!".

بسمة ترد بملامح متألمة: "آه معاية يا علا وربنا عالم إزاي قدرت أدبرهم بالعافية، وأداينت لطوب الأرض، بس أول ما أوصل هلاقيكي هناك صح؟!".

ردت علا محاولة طمأنة بسمة: "آه والله أنا قدامي خمـس دقـايق وهكـون هنـاك، بـس أنـتِ أول لمـا

توصلي كلميني يا بسمة، وأنا هقابلك، يلا خلي بالك على نفسك سلام".

أغلقت بسمة المكالمة، وهي تنظر إلى من بجانبها، خوفًا من أن يكون قد سمع أي شيء من الحديث، ثم وضعت الهاتف داخل حقيبة يدها، وحاولت إخفاء دموع عينيها وهي تنظر عبر نافذة "الميكروباص" بتنهد.

*****

تدخل سيدة في منتصف الخمسينات من العمر إلى غرفة مظلمة مغلقة النوافذ مليئة بالدخان الكثيف والرائحة السيئة، وهي تقول: "يا عادل، يا ابني"، ثم تشتم رائحة الغرفة لتكمل: "إيه يا ابني الدخنة دي والريحة الوحشة دي؟ أنت ليه مقفل الشبابيك وحابس نفسك، خلي نور ربنا يدخل"، واتجهت ناحية النوافذ في محاولة لفتحها.

يصدر عادل الممد على فراشه وسط الظلام ووسط أعقاب سجائر، والثياب المتناثرة في كل أرجاء

الغرفة كلمات "يا ماما سيبي كل حاجة زي ما هي لو سمحتِ".

تتوقف الأم عن فتح النوافذ وترد على عادل: "ليه بس يا ابني؟ ده أنت بقالك أسبوعين من ساعة ما رجعت مع أدهم وأنت قافل على نفسك ومش عاوز تكلم حد حتى أختك اللي هتتجوز كمان كام يوم، بدل ما تقف معاها وأنت أخوها الوحيد سايبها كده!".

ينفعل عادل: "أنتوا عاوزين مني إيه بقى، مش كفاية اللي جرالي، أنا مش عاوز حد يسأل عني وأنا مليش دعوة بحد، أنا عاوز أبقى وحيد وفي حالي".

ردت الأم بعين دامعة وهي تقول: "أنت ليه بتحملنا الذنب في كل اللي جرالك هناك، أنت اللي مشيت ورا السياسة ونزلت مظاهرات، وإحنا يا ما نصحناك، إحنا ملناش يد في اللي حصل!".

يزداد عادل انفعالاً: "وأنا مقلتش إنكم السبب وإنه

ذنبكم، أنا عاوز أبقى لوحدي وبس".

تتجه الأم بأسى ناحية باب الحجرة وهي تقول: "براحتك يا عادل، براحتك يا ابني، بس أنت كده هتموت نفسك، ربنا يهديك يا ابني"، ثم تخرج وتغلق باب الحجرة، تاركة عادل وسط الظلام يشعل سيجارة جديدة، وتتساقط منة الدموع وهو يلقي القداحة بقوة في اتجاه الباب بعصبية.

"٤" (في عيادة طبيب نفسي)

"حضرتك عارف أنت الدكتور النفسي الكام اللي أروحله يا دكتور شاكر؟"، قالتها غادة لرجل يجلس بجانبها وهي ممدة على "الشيزلونج" يبدو عليه الوقار، وهو رجل في منتصف العقد الرابع من عمره، أصلع الرأس، بدين الجسد، قليل الكلام، ودائم الابتسامة، صاحب بشرة بيضاء محدد الذقن بيضاء اللون يتخللها بعض الشعيرات السوداء.

نظر لها د. شاكر بتمعن وقال: "بصي يا آنسة غادة، أنا مش هقولك بقى أنا غيرهم وإن أنا معروف في المجال إن أي حالة مش بتكون صعبة عليّ، وتاخد "وقت كبير"، ومش هسألك كمان هما قالوا لك إيه وشخصوا حالتك إزاي، أنا كل اللي هقلهولك إنك لازم تتكلمي معايا بصراحة وتقوليلي إنتِ عاوزة تقوليلي إيه؟".

حاولت غادة أن تعتدل بخوف، بعد أن لمحت شخصًا ما يمر مسرعًا خلف الدكتور شاكر الجالس

مواجهًا لها، فأشار لها شاكر بأن تجلس مستريحة، بعد أن لاحظ نظرتها، وتبدأ الكلام، وبدأ هو بالتجول في الغرفة الخاصة بعيادته كي يطمئنها، وبدأت غادة الحديث: "بابا وماما ماتوا من شهور قليلة في حادثة عربية، الموضوع في البداية سببلي صدمة وعزلة عن الناس كلهم، انتقلت لبيت خالتي وبنتها، ومن وقتها وأنا عايشة معاهم، بعد شهر أو أكتر قدرت أرجع لحياتي الطبيعية بشكل كبير وأتناسى الموضوع، وأكمل حياتي، في آخر شهرين بدأت كوابيس تجيلي، وأنا صاحية وأنا نايمة لدرجة إني مبقتش بفرق من كترها انا صاحية ولا نايمة، في البداية قلت لنفسي دي نتيجة ضغط العمل، وكمان بواقي تأثير الحادثة، لكن كل الكوابيس اللي بتجيلي مختلفة عن الحادثة، وأي حاجة بتحصلي في حياتي".

أشار شاكر إلى غادة أن تنتظر وسأل: "مختلفة إزاي يا آنسة غادة؟!".

أكملت غادة: "يعني الأشخاص اللي بشوفهم

باستمرار في الكوابيس دي عمري ما قابلتهم حتى في حياتي، ولا صادف إني شوفتهم في أي مكان قبل كده، "نظرت إلى شاكر فأشار لها أن تكمل"، بس الكوابيس دي يا دكتور شاكر الكل صنفهالي أنـــها.. "، قاطعـــها شـــاكر وقـــال: "لا، لـــو ســـمحتِ متقوليليش شخصوا حالتك بإيه؟، دي بتاعتي أنا، بصـي أنا هطلب منك شوية تحاليل وأشعة كده خفيفة، وهتنتظمي على الحبوب دي لحد الجلسة الجاية، عشان أكون وصلت لحالتك ونبدأ كورس العلاج".

اعتـــدلت غـــادة مـــن نومتـــها، وحـــاولت الابتســـام مجاملـــة للـــدكتور شـــاكر، وقـــالت: "خـــلاص تمـــام" وأخـذت منـه "الروشـتة"، التـي انتهـى من كتابتـها شاكر، وقبل أن تخرج "آنسة غادة!" التفتت غادة إلـى شـاكر، فقـال: "بـلاش تبتسـمي تـاني مجاملة لحد"، ابتسمت غادة جديًا تلك المرة، وقالت وهي تفتح باب الغرفة: "حاضر".

*****

يجلس حازم داخل مكتبه، بعد انتهاء عمله وخلو المكان من المرضى ومغادرة السكرتيرة أيضا، أخرج ملفًا يحمل عنوان " build your way"، أخذ يقلب في صفحاته ويدقق في قراءة ما به، ومع تقلب الصفحات تتغير معالم وجهه مرات للرضا، وأخرى لعدم الارتياح، وعندما وصل إلى آخر صفحة به وجد ظرفًا فتحه ليجد به شيكًا بمبلغ "نصف مليون دولار"، أثار دهشته وكان يحمل اسم "روهان كوجين" واستشف منه أنه مالك الشركة.

أمسك حازم بهاتفه الجوال، وأخرج رقم سلمى وأجرى اتصالاً بها ظهرت كلمة "waiting"، لم تجب في أول الأمر بسبب انشغالها بمكالمة أخرى في نفس التوقيت، أغلق حازم المكالمة وأخذ يقلب مرة أخرى في الملف، وهو ممسك بالشيك وشرد قليلاً.

قطع شروده اتصال من سلمى أجاب عليها، لتبادره: "حزومي معلش يا بيبي كان معايا مكالمة من مستر "روهان" بيطمن شخصيًا على سير

مفاوضات، البرنامج معاك، وهو كمان جهز المكان والجوائز زي ما كان مكتوب عندك في الملف!".

سأل حازم: "بس أنتِ مش شايفة إني في حاجات غريبة، ومش مرتبطة ببعض، إن شركتك بتشتغل في السياحة وتعمل برنامج علاجي، وكمان بره بلدها بالمبالغ اللي في الملف ده؟".

قالت سلمى: "يا حزومي ناس معاها فلوس وعاوزه توسع نشاطها في مصر، وأنت دكتور شاطر، وبمجرد من ننزل بحملة إعلانية، ويتقدم الحالات هنشكل لجنة ونختار منهم المشاركين، واهو كل واحد هياخدلوا لوكشة، وكل ده في أسبوعين، يا بلاش!".

قال حازم: "عارفة أنا مش مستريح للموضوع ده، وخصوصًا حتة البوابات والحواجز الحديد اللي هتتقفل علينا جوه المكان، ومش هتفتح إلا بعد انتهاء الأسبوعين!".

قالت سلمى بدلال: "يعني يبقى مقفول علينا مكان

أنا وأنت مع بعض وشوية شباب لمدة أسبوعين وتبقى زعلان كده؟ ماشي وبعدين العرض اللي متقدملك مغري ومبلغ كويس، وكمان الشباب دول هيخرجوا معاهم فلوس حلوة، والمكان فوق كل ده متجهز، وفي أكل يكفي لشهر ولو حصلت حاجة هنتكلم مع مستر "روهان "، وننهي الموضوع، بس في شرط جزائي زي ما أنت شوفت في العرض".

قال حازم: "طب خلاص تمام، حابين نبدأ أمتى؟ عشان ده محدد المواعيد والأيام بالتواريخ".

أصدرت سلمى صرخة أصمت أذن حازم: "بجد وافقت أخيرًا، أنت بجد بتفهم، يس، خلاص أنا هكلمه تاني دلوقتي، وعشان نبدأ بسرعة ونلحق الميعاد، باي"، ثم أصدرت قبلة وأغلقت!

أزال حازم الهاتف من على أذنه وهو يقول: "بوسة ويس، يا بنت المجنونة"، ثم أمسك بالشيك وهو مبتسم ويترنح بكرسيه المريح.

*****

وسط صخب سماعات الـ"دي جي" عالية الصوت، يتراقص الجميع على أغنية شهيرة لمطربة غربية داخل فيللا تخص أحد الموجودين، ومن بينهم تظهر"مادلين"، وهي تراقص شابًا وسيمًا بجسد رياضي منتفخ العضلات، أبيض البشرة، وأسود الشعر ناعم الملمس، يقترب لها ويهمس في أذنها قائلاً: "أنتِ منورة النهارده زي القمر"، تسمع ما يقوله مادلين، ولكنها تتصنع عدم سماعها، وترد قائلة: "إيه، بتقول إيه يا مروان، الصوت عالي أوي مش سامعة"، يبتسم ويقترب أكثر ويعلو صوته، "أنت زي القمر النهارده يا مادلين"، تبتسم وهي تنظر له في حب وتقول: "أنت عارف أنت أحلى حاجة حصلتلي من فترة"، وتكمل رقص.

دقائق من الرقص الهستيري المتواصل الذي أصاب كل الحضور، ووسط كاسات الخمور التي يتناولها الجميع وضحكات الساقطات التي تملأ المكان، ومن بينهم مدمنو المخدرات أضفى حالة عامة من الهذيان المصطنع لشباب ضل كل طريق للصواب.

هدأت النغمات ومعها الصخب، وكذلك النشاط العام بعد أن بدأ البعض في التعب أو الوصول للنشوة المطلوبة من الرقص ومغادرة الكثير للحفل، جذب مروان يد مادلين متجهًا بها إلى مكان ما يعزلهم عن بقية الموجودين، وهو ينظر لها بنظرات غير مفهومة فقالت: "إيه يا مروان رايحين فين؟ الحفلة لسه مخلصتش يا بيبي".

رد قائلاً وهو ما زال يتوجه بها إلى القطعة الخضراء البعيدة عن الفيللا: "إحنا جايين هنا نرقص بس، ينفع نقعد شوية لوحدنا، وبعدين أنا عاوز أقولك كلام كتير!".

نظرت له بعد أن توقفوا في دلال وقالت: "ها بقى إيه هو اللي عاوز تقلهولي يا بيبي؟".

اقترب مروان من مادلين ليصبح مقابلاً لها مباشرة ونظراته تخترق عينها، وقال: "بصي يا ستي إحنا بقالنا تقريبًا فترة مع بعض، وكل واحد فينا عارف شعور التاني، أنا شايف إننا لازم ناخد خطوة في علاقتنا".

ابتسمت مادلين في خجل وقالت: "يعني إيه يا بيبي، خطوة زي إيه؟".

حاول مروان أن يقترب منها أكثر ويضمها ويقبلها فدفعته برفق محاولة تفادي ما قد يحدث وهي لا تريده، وقالت: "بس يا مروان، أنا مش عاوزة ده".

تغيرت ملامح وجه مروان وقال: "إنتي ليه بتصديني كده؟ وليه كل لما أحاول إني أقرب منك وأحس حاجة كويسة معاكِ تبوظيها؟".

ردت مادلين بجزء من العصبية: "أنا مش كده يا مروان ومش ليّ تجارب في الارتباطات قبل كده، ومش معنى إني بحبك أو معجبة بيك إني أتعدى حدودي، أنا بنت ناس وأهلي عرفوا يربوني!".

يزداد مروان عصبية ويقول: "خلاص يلا عشان نروح".

جاء الرد مقابلاً بعصبية من مادلين: "لا أنا هروح لوحدي معايا عربيتي بره"، ثم تركته وهي في

حالة تشنج وعصبية أشعلت لها سيجارة، وخرجت من باب الفيللا وهي تجري اتصالاً بصديقتها "جيداء"، وعندما أجابت قالت: "جيداء أنت فين يا بنتي؟ عاوزة أتكلم معاكِ شوية"، ردت عليها بصوت ناعس: "هكون فين يا بنتي في البيت نايمة الوقت بعد نص الليل، أنتِ اللي فين؟".

ردت عليها وهي تدلف إلى سيارتها: "أنا ٥ دقايق وهكون عندك، عاوزة أتكلم معاكِ أجهزي وانزليلي تحت البيت".

ردت جيداء: "مروان برضه، هه؟".

قالت مادلين: "أيوه الزفت".

ردت جيداء: "أنا قولتلك مش مستريحاله من البداية، يلا أنا هلبس وهستناكِ، سلام".

مادلين أغلقت وهي تقول: "سلام"، وأشغلت الراديو الخاص بالسيارة وهي تقود بعصبية.

?xml version="1.0" encoding="UTF-8" standalone="no"?>

"٥" (في وقت متأخر من الليل)

تفيق غادة من نومها على حركة داخل غرفتها وصوت غريب يتفوه بكلمات، تعتدل وهي على فراشها في محاولة منها لاستيعاب ذلك الصوت، الذي سمعته منذ لحظات، تفتح ضوء "الأباجورة" ليتبدد الظلام، تدع قدم تلو الأخرى على الأرض بتردد وخوف وتقف منتصبة، تمسح الغرفة بعينها فلا تجد شيئًا ملحوظًا، تتحرك ببطء في محاولة لتهدئة أعصابها المتوترة، بعد عدة خطوات أصبحت بوسط الغرفة ويمكنها كشف كل مكان بها، لمحت ظل لشيء ما يقف في منطقة شبه مظلمة من الغرفة، دققت النظر في خوف وعرق يتصبب منها، وهي تمد رقبتها إلى الأمام قليلاً لتتبين، تسمع صوت إغلاق ضوء "الأباجورة" خلفها فجأة لينتفض جسدها، تهرع نحوها وتضيئها مرة أخرى في خوف وفزع، تلمح ظلاً يتحرك ببطء ملحوظ.

يبدو أنه داخل الحائط لجسد ضخم لا ملامح له، ترتعش وتصعد فوق فراشها في رهبة، يتوقف الظل ويبدو أنه يستدير مواجهًا لغادة، تبتلع ريقها بحلق جاف وتمعن النظر من جديد في محاولة أخرى لرؤية تفاصيل يهتز بها الفراش بقوة وتنفجر "لمبة الأباجورة"، لتصدر غادة صرخة يسمعها كل من في البيت فتهرع إليها خالتها وابنتها "كاميليا"، ليجدا غادة جالسة وسط الظلام في حالة صدمة وفزع، فهي لا تغلق عينيها وتهتز بشدة.

أضاءت كاميليا إضاءة الغرفة، وتوجهت والدتها إلى غادة كي تطمئنا فصرخت في وجهها، وبعد أن استوعبت موقفها ارتمت في أحضانها وهي تبكي وتقول: "أنا تعبت بقى يا خالتو من اللي بيحصلي ده".

تحتضنها خالتها بقوة وهي تردد: "أيوه يا بنتي والله كتير عليكِ اللي بيحصل ده أنا عارفة، اهدي بس يا بنتي، وبكرة نكلم حد من المشايخ ييجي يشوفك ويطمنا عليكِ"، وظلت تمسح على رأسها

بينما تقف كاميليا تنظر إليهما في قلق على حال غادة وتفكر في حل لازمتها النفسية التي طالت، ولا بوادر لعلاجها قريبًا.

هاتف يهتز دون إصدار أي نغمات يعلو "ترابيزة" تتوسط غرفة مظلمة بعض الشيء، وفي زاوية الغرفة هناك كرسي يجلس فوقه "علاء"، وقد نمت ذقنه بشكل ملحوظ وهو يبكي بتنهد مثل الأطفال، ويبدو بحالة صحية سيئة وحالة نفسية أشد منها سوءًا.

من إصدار الهاتف لصوت اهتزاز آخر يتنبه له "علاء"، ويتجه نحوه وهو يمني النفس قائلا: "ناهد! ناهد!"، ليصطدم بما يظهر على شاشة الهاتف مكتوب عليها "البشمهندس توفيق الوكيل"، يمسك الهاتف بتأفف وحسرة ويتردد للحظات قبل أن يجيب ويقول بصوت ضعيف مختنق: "ألو" ليجد الرد كسيل من الكلمات: "أنت فين يا بشمهندس؟ مبتردش على تليفونك ولا الواتس ولا حتى الميل، وفي شغل كتير متعطل وواقف، أنت

مالك يا ابني؟".

يزيح "علاء" الهاتف من على أذنه ثم يضعه مجددًا، وهو لا يريد أن يجيب ليقول: "معلش يا بشمهندس عندي ظروف بس.."، لينهره المهندس توفيق "وده مش مانع أنك متردش على التليفونات يا بشمهندس، ولا أنت ملكش في البيزنس، أنت شغال في شركة كبيرة ومحترمة، وأنت متغيب ومنقطع عن العمل من حوالي أسبوعين، من غير عذر أو حتى مكالمة أو إذن وكمان مبتردش على تليفونات، أنت متحول للتحقيق يا بشمهندس ويا ريت متتأخرش على ميعاد التحقيق عشان متتعرضش للفصل المباشر".

يشعر "علاء" بالاختناق الحاد ويضع يده على رقبته وينفجر قائلاً: "خلاص بقى، اخرس شوية واعمل اللي تعمله، يلعن أبو الشغل على اللي عاوز يشتغل"، ويغلق الخط في وجه مديره ويلقي الهاتف على الحائط المقابل له في غل ليهشمه إلى أجزاء قليلة، ويعود إلى البكاء من جديد!

*****

ترتدي "بسمة" ملابسها في خجل وعدم اتزان وهي تنظر لمن معها في الغرفة وتساعدها صديقتها "علا" في ذلك وهي تخبرها "الدكتور قالي إنك محتاجة راحة بس بعد عملية الإجهاض لكام يوم وهتبقي زي الفل ومحتاجة تتغذي كمان كويس".

تجيبها بسمة: "خلاص الدكتور خلصني من البلوة دي يا علا؟".

تبتسم علا وتقول: "أيوه يا حبيبتي وبيقول إن الجنين كان في الشهر التاني، بس كله تمام والعملية نجحت، وأنتِ زي الفل دلوقتي متخافيش من حاجة!".

تحاول بسمة أن تسير بشكل طبيعي ولكنها تتألم فتمسك بها علا قائلة: "بس براحة على نفسك أنت أصلا هزلانة ومش واكلة عشان كده كتبلك على شوية فيتامينات وأكل معين".

نظرت لها بسمة وقالت: "طب هقعد فين الكام يوم

دول أنا مش هينفع أروح البيت بالشكل ده؟".

مسـحت علـى رأسـها عـلا، وقـالت: "متقلقـيش هتقعدي معايا يومين لحد لما تفوقي وتقفي على رجلك تاني، وبعد كده أبقي روحي براحتك يا حبيبتي".

خرج الاثنتان.. بسمة تستند على علا نزولاً على السلالم الطويلـة فـي بيت قديم الطراز بأحد الأحيـاء الشعبية، وعنـد خروجها وجدت أمامها والدتها واقفة دامعة العين، وهي تنظر إليها في تقزز وغل.

نظرت بسمة إلى علا في خوف وصدمة لتقترب الأم إلى بسمة وتصفعها صفعة قوية وتسحبها إلى سـيارة أجـرة تـدفعها بـداخلها بالقوة مـن دون حديث، وتتحرك السيارة، تاركين علا واقفة خلفهما وهي مبتسمة.

*****

وسط تصفيق و"زغاريد" من أفواه عديدة مبتسمة

وداعية لعروسين يمران دخولاً إلى قاعة أفراح ممتلئة بالمهنئين من العائلتين ينظر"عادل" الأنيق في تلك الليلة ببدلة سوداء إلى أخته بود وهي ترتدي فستانها الأبيض الذي تبدو به كملاك مُنزل، وهي تعلق ذراعها بين ذراع "أدهم" المغمور بسعادة وابتسامته لا تفارق وجهه.

بدأت مراسم الزواج "كتب الكتاب"، وحضر "عادل" كوكيل عن أخته ووضع يده بيد "أدهم"، وحضر شاهدان كان من بينها الضابط الذي توسط إليه أدهم في إخراج عادل من المعتقل منذ شهور قليلة مضت.

نظر عادل إلى ذلك الضابط في تقزز، وبدأت معالم وجهه تتغير وقد لاحظت أخته وأمه ذلك، وخافا أن يفسد عليهما يوم زواج أخته، تماسك ولكنه كان لا إراديًا ينظر له في غل لاحظه أدهم فضغط على يده في محاولة لتهدئته.

بعد أن تمت مراسم الزواج وبدأ الجميع بالتهنئة، توجه عادل إلى أخته وقبلها، ثم إلى أدهم وقبله،

وخرج إلى الشارع بعيدًا عن قاعة الأفراح، خلع ربطة عنقه وقذف بها إلى الشارع وأخذت أعصابه تتوتر وهو يقول: "ولاد الكلب، ولاد الكلب".

رن هاتفه الجوال فوجد أنها أمه فأجاب عليها، ليسمع على صوتها القلق: "أنت فين يا عادل؟ أنا مش لاقياك في الفرح كله، أنت كويس؟".

رد عليها عادل محاولاً طمأنتها: "أنا كويس بس خرجت بره القاعة مش طايق الناس اللي جوه الفرح تبع أدهم من الظباط وقلت أبعد عشان مبوظش اليوم على العرسان".

قالت الأم معاتبة: "وبعدين معاك يعني دي عمايل؟ تسيب أختك يوم فرحها؟ يا ابني اعقل مش كده".

تفلت أعصاب عادل، ويقول: "خلاص بقى مش قادر، أنا لو قعدت جوه دقيقة واحدة هموت حد من الكلاب اللي جوه دول، بشوف في وشهم كل اللي حصل فيّ هناك جوه معتقلهم، سيبوني في حالي بقى"، ثم أغلق الهاتف في وجه والدته،

تاركها دامعة العينين وهي تدعي وتقول: "ربنا يهديك يا ابني".

*****

يفتح "سليمان" عينيه ويفيق من نومه، يعتدل على فراشه داخل غرفة مكث داخلها قرابة الثلاثة شهور، يستمع إلى صوت حديث يدور بين الدكتور المعالج له وبين أبيه قاسي القلب: "أيوه يا باشا سليمان أعراض الانسحاب انتهت عنده وهو دلوقتي بدأ في مرحلة النقاهة، يعني ببساطة هو خف خلاص"، يستمع إلى ما يقال إليه بحرص ويكمل: "طبعًا يا باشا متأكد، حضرتك مش أول مرة تتعامل معايا، وبعدين أنا خدامك في أي حاجة، أخليلك حد يدمن، أداوليك حد من الإدمان، مفيش مشاكل، تحت أمرك"، يستمع مرة أخرى ويرد بسعادة: "يا باشا والله كتير، آه الشيك وصلي وصرفته كمان".

يتوجه سليمان إلى الدكتور المعالج لحالته ويجذب منه الهاتف ويقول: "إية يا بابا، أنا بقيت

كويس خلاص، عاوز أخرج بقى عشان خاطري، أنت سامع الدكتور قالك إيه؟"، يستمع وتتغير معالم وجهه ويتعصب: "يعني إيه محبوس؟ أنا بقالي ٣ شهور هنا محبوس وعاوز أخرج أشوف ناس وأعمل حاجة جديدة ما دام بقيت كويس"، يضم حاجبيه في غضب من أثر الكلام الذي يستمع إليه ثم يرد: "يعني إيه بودي جارد ليّ في كل مكان، أنا مش عيل صغير ولا بت هتخاف عليها وتحبسها ومتخرجهاش إلا ببودي جاردات، أنا لازم أخرج أنت فاهم؟"، ينظر إلى الهاتف في غضب بعد أن أغلق والده الخط في وجهه!

يهدأ نسبيًا ويعطي الهاتف إلى الدكتور وهو يقول: "هو أنا ممكن أخرج أمتى يا دوك؟".

ينظر له الدكتور في شماتة: "لا، الباشا هو اللي يقول، وبعدين عيل تافه زيك مدمن إيه فايدته بره، أنا من رأى إنك تفضل هنا على طول واديني بقفش كويس من وراك".

نظر له سليمان في غضب وقال: "هو أنت دكتور

ولا تاجر مخدرات؟ أنت بتتكلم كده ليه؟".

يعدل الدكتور من ملابسه في غرور ويقول: "أنا كل حاجة، أنا باشا يلا وأكتر من أبوك كمان، بس أنتوا كده مش واخدين بالكم وبتدوسوا ع الناس فاكرينها أسفلت طول الطريق، أنا بمتلك يمكن قد ثروة أبوك الباشا ده مرتين بس لازم أفضل في الضل".

تحرك سليمان تاركًا الدكتور المعقد نفسيًا يتباهى بنفسه وأمسك بـ"حقنة"، كانت ملقاة، فتح غلافها وبحركة سريعة أمسك بالدكتور وغرس الحقنة برقبته وقال: "أظن أنت عارف لو ملي واحد هوا دخل في رقبتك، هيعمل إيه فيك يا باشا؟!".

فزع الدكتور وقال بتوسل: "بس أنت عاوز إيه اهدى بس يا سليمان باشا؟".

جذبه سليمان ناحية الباب كخروف على وشك الذبح، وقال: "باشا يا ابن الناقص، دلوقتي بقيت باشا ومن شوية عيل تافه، خبط ع الحمير اللي بره

دول وخليهم يفتحوا، وأظن أنت عارف أنا عاوز إيه دلوقت، بس وحياة البالطو العرة اللي أنت لابسه ده لو معملتش اللي أنا عوزه هخلي فلوسك اللي قد فلوس أبويا مرتين تبات من غير صاحبها النهارده!".

قال الدكتور في خوف: "خلاص حاضر والله، بس أوعى بس أيدك تفلت يا باشا"، ثم طرق الباب وعندما أجابوه قال: "افتحوا الباب يا رجاله" فتح الباب وظهر من خلفه حائطان بشريان لم يلحظا الوضع في تلك اللحظات.

خرج سليمان مسرعًا وهو يجذب الدكتور بقوة وصاح في الاثنين: "اهدوا كده عشان الواد ده مايموتش في إبرة هوا زي الفران، تليفوناتكم واحدفوها في حمام السباحة ده زي الشاطرين، وكمان مفاتيح العربيات اللي بره واحد في الحمام وواحد احدفوه للواد ده يمسكه".

أشار له أحدهم أن يهدأ فقال: "لا بصوا بقى أنا مش بهزر هيموت وأنتوا هتترموا في الشارع أو السجن

بتهمة قتله وأنا مدمن أصلاً مش هاخد يوم، يلا اعملوا حالاً اللي أنا قلته".. ثم ضغط على رقبة الدكتور ليتألم.

سرعان ما فعلوا ما قال سليمان، ألقوا بالهواتف إلى الماء وأعطوه مفتاح السيارة والآخر ألقوه في الماء، ابتسم سليمان وقال: "بصوا أنا عارف إني رخم وإن الجو برد معلش، في الميه أنتوا كمان"، فعلوا ما قال فألقى الدكتور هو الآخر إلى الماء وعاد مسرعًا إلى السيارة، وقادها مسرعًا بعيدًا عن فيللا والده.

*****

"أنت واخدني يا مارو على فين بس يا بيبي؟"، قالتها مادلين وهي بجانب مروان في سيارة وهو منطلق بها بسرعة كبيرة على الطريق الصحراوي، أعادت السؤال: "بيبي إيه هي المفاجأة دي اللي تخلينا نسافر ميامي؟"، نظر لها وأشار بيده وابتسم وقال: "اصبري بس يا ستي في إيه؟ مستعجلة ليه؟".

قالت مادلين: "يا بيبي إحنا بقالنا ساعتين في الطريق وتقولي مستعجلة؟ هي إيه بقى المفاجأة؟" نظر لها وأصدر ضحكة، وقال: "طب تبقى مفاجأة إزاي، اصبري يا حبيبتي بس نوصل وهتعرفي كل حاجة!".

نظرت له في فضول القطة، وقالت: "طب مين مستنينا هناك، أختك ولا مماتك ولا إيه؟"، نظر لها مروان ولم يجب ولكنه أعطى لها يده لتشبك أصابعها وسط أصابعه وهي سعيدة.

ساعتان إضافيتان وتوقف مروان بالسيارة أمام شاليه بالقرب من البحر، فتح بابه وتوجه إلى مادلين وفتح لها الباب كأميرة تنزل من ركبها، ابتسمت وأمسك بيدها وتوجها إلى داخل الشاليه.

فتح الباب وأشار لها قائلاً: "ليدز فرست يا قمر"، خطت أولى خطواتها فوجدت الشاليه مزينًا من الداخل، وهناك بالونات معلقة تحمل اسم مادلين ومروان داخل قلب، شعرت بالسعادة المفرطة،

استدارت وقالت: "إيه ده يا بيبي؟" نظر لها وقال: "بعد آخر مرة لما زعلتِ مني قررت إني لازم أرتبط بيكِ رسمي، أنا كلمت أصحابنا كلهم وكمان ماما وهم في الطريق ومعاهم الدبلتين"، احتضنته لأول مرة بقوة، قبلها برأسها وقال: "أنا هحضر حاجة نشربها وأنتِ بقى لفي في الشاليه براحتك، ولو حابة تنزلي الماية براحتك بس الجو بارد".

دقائق وعاد مروان بكوبين من العصير تجرع واحدًا في الطريق وأعطى الآخر لمادلين، وهو يقبل يدها، جاءه هاتف استأذنها وذهب كي يجيب واختفى عن نظرها لدقائق، انتهت فيه من المشروب، وأخذت تتجول تشاهد الصور المعلقة لمروان، وهو صغير بصحبة عائلته، ابتسمت، نظرت له في حب ومالت برأسها بدلال أنثى في غاية الجمال والسعادة، ولا وجود لإبداع في ذلك الكون أجمل من امرأة جميلة تقع في حب رجل يعشقها ويصعد بها إلى السماء، ليقتطع لها جزءً من السماء يزين بها خصلات شعرها.

اقتربت الشمس على المغيب، هذا ما أحست به مادلين وهي تترنح، وتحاول جاهدة فتح عينيها لكنها ثقيلة لا تقوى على رفعها، دوار أصاب رأسها وتقطعت الإضاءة رويدًا وسكت الكون من حولها، إلا من صوت ارتطامها على الأرض.

أفاقت مادلين على ماء بارد يرش فوقها وملابسها شبه ممزقة، وبجانبها مروان ممدد على الأرضية عاري الجسد، وتسيل من رأسه الدماء بغزارة، التفتت حول نفسها في محاولة لفهم ما يحدث لتجد صديقتها "جيداء" ممسكة بدلو ماء وتساعدها على الوقوف، جذبتها بقوة، وهي تعطيها "جاكيت" ثقيلاً يغطي ملابسها الممزقة.

خرجتا سريعًا إلى سيارة "جيداء" وأدارت السيارة ورحلتا سريعًا بعيدًا عن الشاليه، بعد بعض الوقت استعادت مادلين اتزانها وبدأت تستوعب ما يحدث، نظرت إلى جيداء وقالت: "هو في إيه يا جيداء؟ إيه اللي حصل؟".

نظرت لها جيداء في اضطراب وقالت: "لما

كلمتـيني وقولتـيلي إنـك رايحـة مع الوسـخ ده مشـوار بس مش عارفة فين نزلت وراكِ لحد لما قابلتيه ومشيتوا بالعربية، مشيت وراكوا، خرج بره القـاهرة علـى الصـحراوي، شـكيت إنـه نـاوي شـر وإنتي عبيطة وهابلة، فضلت وراكوا وكان سايق بـيكوا طيـارة، كـان مسـتعجل أوي علـى ضـحيته الجديدة، فضلت وراكوا لحد لما وصلتوا الشاليه، اسـتنيت ورا البـاب لحـد لمـا سـمعت صـوت هبد، خفت ولفيت من ورا الشاليه ودخلت من شباك كان مفتوح، لقيته بيقطع في هدومك ونازل فيكِ بوس وأنـت نايمـة متخـدرة، ابن الكلب، فكرت بسـرعة لقـيت فاظـة، اتسحبت وخبطه بيها فأغمي عليه وجبت ميه من التلاجة ورشيتك بيها وبس".

نظـرت جيـداء إلـى مـادلين فوجـدتها فـي حالـة صدمة مما سمعته وبدأت في التشنج وعدم القدرة علـى التنفـس بشـكل طبـيعي، أوقفـت السـيارة وهرولت إلى الباب الآخر وأخرجت مادلين وهدأت من روعـها، وهـي تقـول: "جـت سليمة يا حبيبتي، جت سليمة"، لترد عليها مادلين بهسيتريا وصدمة:

"ابن الكلب، كلهم ولاد كلب، محدش بيحبني، كلهم عوزين يئذوني وخلاص، حيوانات"، ودخلت في موجة بكاء وسط أحضان صديقتها جيداء!".

"٦" (إعلان..)

بالتعاون مع الطبيب النفسي ،"Build Your Way" "حازم عزمي" تنشئ أول برنامج تأهيل نفسي في مصر والشرق الأوسط من نوعه، يتضمن برنامجًا علاجيًا متكاملاً يشمل "العلاج النفسي والتأهيل للعمل داخل صفوف الشركة الراعية مع جائزة مالية كبيرة لكل من يجتاز فترة التأهيل بنجاح، للراغبين في التقديم وإجراء المقابلة التواصل مع المسؤولين عبر الهاتف المذكور.

ظهرت علامة التعجب على وجه "كاميليا"، وهي تمسك بـ"تابلت" خاص بها وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي لتصطدم بذلك الإعلان الذي انتشر منذ ساعات قليلة، وأصبح حديث الشارع المصري والسوشيال عامة، آلاف الإعجابات والتعليقات والأسئلة عن الجائزة المالية وشروط التقدم.

نظرت "كاميليا" على صورة موضوعة أعلى منضدة

تضم بداخلها طفلتين يحتضنان بعضهما، والبسمة ظاهرة على ملامحهما، وكانت تخص "كاميليا وغادة" في سن مبكرة، نقلت رقم الهاتف الظاهر في الإعلان وأجرت مكالمة.

تستند "بسمة" وهي تبكي بخوف بأذنها على باب غرفتها من الداخل وتتنصت على من يتحدث بالخارج بعصبية شديدة، وكان يقول: "سيبيني يا أما أدخل أجيب رقبتها ونخلص من نجاستها قبل ما تمرمغ راسنا في الأرض، آه إحنا ناس فقرة وغلابة بس شرفنا لا!".

ترد الأم بقسوة: "لا مش هنموتها، أنت مش قلت إن في عريس من المعلمين اللي بتشتغل معاهم كان رايدها وعاوزها قبل كده وقلناله اصبر؟".

رد عليها "آه يا أما ولسه عاوزها".

لتكمل الأم: "يبقى خلاص نجوزهاله ويبقى خلصنا منها ومن قرفها وسترناها واتسترنا معاها بنت الكلب دي".

رد بعصــبية: "آه يــا أمــا بـس ده بيشـتغل فـي المخـدرات ومتجـوز، وكـان عـاوزها فراغـة عـين، يعني مش هيصونها".

تــرد الأم بعصــبية: "هــي وشـطارتها معـاه، تـاجر مخدرات تاجر زفت في داهية المهم معاه فلوس".

جاء الرد: "ماشي يا أما اللي تشوفيه أنا هرد عليه النهارده ده كان لسه بيلقح بالكلام إمبارح عليها معاية، وأنا هربت من الموضوع قبل ما أعمل معاه مشاكل، ماشي يا أما سلام".

سمعت بسمة صوت إغلاق الباب بقوة وخطوات تقتــرب مــن بـاب الحجـرة، هـرعت إلـى الفـراش والتفت بالغطاء واصطنعت النوم، سمعت صوت المفتاح يدلف ويفتح الباب وسمعت صوت الأم: "ربنا يخدك ويريحنا منك"، ثم خرجت وأغلقت من الخارج الباب لتترك بسمة حبيسة داخل حجرتها تبكـي وتقـول: "يـا لـهوي تـاجر مخـدرات، يـا رب خلصـني مـن المصـيبة دي يـا رب، وأنـا عمـري مـا هغلط تاني، يا رب".

*****

"عادل، عادل، افتح يا ابني، أختك وجوزها عندنا، قوم أحلق دقنك كده واستحمى وقابلهم، الناس في بيتنا ميصحش كده"، لم يعرها عادل أي اهتمام، فقد جذب اهتمامه إعلان على مواقع التواصل الاجتماعي يحمل ""build your way" بالتعاون مع الطبيب النفسي، "حازم عزمي" تنشئ أول برنامج تأهيل نفسي في مصر والشرق الأوسط من نوعه، يتضمن برنامجًا علاجيًا متكاملاً يشمل "العلاج النفسي والتأهيل للعمل داخل صفوف الشركة الراعية مع جائزة مالية كبيرة لكل من يجتاز فترة التأهيل بنجاح"، للراغبين في التقديم وإجراء المقابلة التواصل مع المسؤولين عبر الهاتف المذكور.."، وهو ممسك بهاتفه الجوال ويرسل رسالة بريدية وينتظر الرد.

ازداد طرق الأم على الباب فجاء الرد من عادل بعصبية: "يا ماما قولتلك عيشوا حياتكم كأني ميت أو مش موجود من الأساس، سيبيني براحتي

يا أمي حرام عليكِ، أنتِ ليه مش حاسة بيّ؟".

بكت الأم وقالت: "افتحلي طب يا ابني أدخلك ونتفاهم عشان خاطري" السكون هو العنوان الرئيسي في جريدة مأساوية تتحدث عما يحدث داخل هذا البيت، وما زال عادل ممسكًا ينتظر الرد على بريده، ابتعدت خطوات الأم لتقترب خطوات أخرى هادئة وصوت همس ثم يعود الطرق البسيط على الباب ليأتي صوت أخته تقول: "عادل افتحلي أنا طيب، عشان خاطري، أنا أختك ومحتاجة أشوفك".. أغمض عادل عينيه وهبطت دموعه، رغم عنه من بين جفونه المغلقة ليشعر بلهب الدموع يسري داخل عقله ويستشعر آلامه، زادت أخته إلحاحًا قائلة: "والله لو ما فتحت لأفضل قاعدة على باب الأوضة لحد لما تفتحلي، عشان خاطري يا حبيبي افتحلي".

تلقى عادل الرد على بريده مكتوبًا فيه: "تحدد ميعاد المقابلة بعد الغد الساعة الـ٩ صباحًا في العنوان المرسل"، ابتسم ووقف على قدميه وفتح

الباب ليحتضن أخته وهو يبكي ويقول: "أنا تعبان أوي يا آلاء، تعبان بجد، متزعليش مني لا أنتِ ولا ماما، أنا بجد بمر بفترة قاسية"، ترد عليه في ود: "أنا عارفة يا عادل أدهم حكالي اللي مريت بيه بس لازم نخرجك من الحالة دي، أنت لازم تسافر تغير جو أو ترجع شغلك أو..."، ليقاطعها ويقول: "أنا جالي شغل كده لمدة أسبوعين بس الأول هعمل مقابلة بعد بكرة وادعيلي إنها تكون موفقة"، ابتسمت وقالت: "يا رب يا عادل تتوفق في كل أحلامك وربنا يعوضك خير"، ابتسم وضمها إلى صدره بيد واحدة وقال: "أنا رايح أحلق دقني شكلها طولت صح؟!"، لتضحك آلاء وتقول له: "طولت دي عاملة زي اللبلاب اللي بيمشي ع الحيطان"، ضحك الاثنان وتركها لتعود مبتسمة إلى أمها وزوجها.

*****

في الظلام يقف سليمان متواريًا عن الأنظار داخل حديقة، استطاع أن يتسلق سورها الحديدي

ويبقى داخلها لبعض الوقت، وهو يرتدي "جاكيت" ثقيلاً يقيه من الهواء البارد الأشبه برصاص طائش، أخرج هاتفه ليجد ٤٠ محاولة اتصال من والده وأرقام أخرى غريبة يجهل هوية صاحبها، بحث عن رقم لصديق له واتصل به ليجيب: "أيوه يا برو، أنا سليمان البنداري يا فان، أنت مصطبح ولا إيه؟"، يصمت ليتلقي الرد ويبتسم ويقول: "بص يا برو أنا محتاج مكان أقعد فيه شهر أو أزيد لحد لما أدبر مبلغ وأسافر بره"، يستمع إلى ما يقال له: "أيوه يا ابني أنا زهقت من الراجل ده، مش شايف غير نفسه، أنا بكرهه أكتر من أي حد في الدنيا، ونفسي أخلص منه بس هو صعب حد يقدر يلمس شعرة منه حويط ابن الإيه!"، يستمع إلى ما يقال.. "أسبوع بس، أنا محتاج أكتر من كده"، ينصت في ضيق.. "أنت واد ندل يلا، بص هات الفلوس اللي عليك الأول وأبقى أتكلم، بيات إيه يا معفن؟"، يستمع ليرد في عصبية: "ولا خلاص يلا غور في داهية يا ابن الكلب يا واطي"، ويغلق الهاتف في غضب وهو يركل "كانز بيبسي"، ويكمل لعنة لذلك

المتحدث.

يهدأ نسبيًا، ثم يجلس على مكان أعد خصيصًا للجلوس وسط الحديقة المظلمة في وسط برد قارس، يفتح هاتفه الجوال، ويبحث عن معارفه على السوشيال ميديا ليصطدم بإعلان""Build Your Way"، بالتعاون مع الطبيب النفسي "حازم عزمي"، ننشئ أول برنامج تأهيل نفسي في مصر والشرق الأوسط من نوعه، يتضمن برنامجًا علاجيًا متكاملاً، يشمل "العلاج النفسي والتأهيل للعمل داخل صفوف الشركة الراعية، مع جائزة مالية كبيرة لكل من يجتاز فترة التأهيل بنجاح"، للراغبين في التقديم وإجراء المقابلة التواصل مع المسؤولين عبر الهاتف المذكور...."، ينتبه إليه جيدًا وينقل رقم الهاتف ويطلب الرقم في حماس.

*****

أمام إحدى ماكينات السحب الآلي لأحد البنوك يقف "علاء" طويل الذقن غير مهندم الملابس على غير عادته، يعيد إدخال كارت "ATM" مرة أخرى

داخل الماكينة وهو يقول: "يعني إيه الرصيد غير كافٍ"، يكتب الرقم السري مرة أخرى وهو يتلفت حوله ويطلب المبلغ وينتظر ليظهر الرد مرة أخرى"الرصيد غير كافٍ"، يستعلم عن الرصيد ليخرج له الرصيد بضعة جنيهات قليلة، يسحب الكارت بعد خروجه بعصبية، ويطلب خدمة العملاء ويجري مكالمة: "ألو أنا عندي استفسار لو سمحت"، يجيب عليه أحد الموظفين ويسأله عن اسمه وبعض البيانات ليجيبه علاء بكل التفاصيل، وبعده يتلقى ردًا ليبدأ في الصياح: "يعني إيه مفيش رصيد في البنك خالص، ومين اللي سحب كل الأرصدة وأمتى؟"، يجيبه ويغلق الهاتف متذكرًا أن زوجته "ناهد" كانت تعلم بكل الحسابات وأرقامها وكلمات السر الخاصة بكروت الائتمان، ويبدو أنها أرادت أن تضيق عليه الخناق بقسوة.

شرد علاء قليلاً، وهو في طريقه إلى المنزل، وقال: "أنا كنت عايش مع واحدة باين كده إني معرفهاش ومعرفش قلبها أتخلق من إيه؟، ده لو من نار مش هيعمل كده فيّ"، ثم نظر إلى السماء وقال: "يا رب

أنا عملت إيه لكل ده، ده حتى مصيبتي قلت فيها الحمد لله".

وصل إلى منزله وبحث كثيرًا على هاتفه ووجده مغلقًا بسبب إنهاء شحن البطارية، وضعه في الكهرباء وفتحه ليتلقى رسائل كثيرة منها من الشغل وأخرى على مواقع التواصل الاجتماعي، فتح كل الرسائل الخاصة بالعمل وعلم للتو أنه فقد وظيفته، دمعت عيناه وأكمل الرسائل ليصطدم بإعلان "Build Your Way"، بالتعاون مع الطبيب النفسي "حازم عزمي" تنشئ أول برنامج تأهيل نفسي في مصر والشرق الأوسط من نوعه، يتضمن برنامجًا علاجيًا متكاملاً يشمل "العلاج النفسي والتأهيل للعمل داخل صفوف الشركة الراعية مع جائزة مالية كبيرة لكل من يجتاز فترة التأهيل بنجاح"، للراغبين في التقديم وإجراء المقابلة التواصل مع المسؤولين عبر الهاتف المذكور....".

يدخل إلى تفاصيل الإعلان ويبحث أكثر عنه على الإنترنت ليتأكد من صحته وجديته ونسبة

المتقدمين يزداد يومًا وراء الآخر بنسبة كبيرة، يراه كطوق نجاة لحالته النفسية والمادية وفرصة لمغادرة أحزانه، أرسل رسالة بريدية وانتظر الرد الذي أتى له سريعًا بميعاد المقابلة كعلامة لفرصة للحياة من جديد.

*****

هاتف يرن باستمرار وتتجه إليه "مادلين" بتكاسل النائمين تضغط على علامة الإجابة الخضراء لتجد ردًا من صديقتها "جيداء" تقول: "مادلين أنتِ فين يا بنتي؟ الواد مروان قالب الدنيا عليكِ وعامل محضر سرقة وتعدي ليك في القسم".

تفزع مادلين من الكلمات وتقطع تثاؤبها فجأة وتقول: "إية؟ يعني محضر؟" وتبكي بقوة.

ردت عليها "جيداء" بقسوة: "أنتِ تلمي هدومك وتجيلي بسرعة على البيت عقبال ما ألاقيلك صرفة وأشوف هعمل إيه؟".

قالت مادلين: "حاضر، حاضر، أنا هجهز وأجيلك

بسرعة".

أغلقت المكالمة "مادلين"، وهي تذرف الدموع وتقول: "يا ابن الكلب عاوز مني إيه؟ حرام اللي بيحصل ده"، ثم تنظر إلى برواز يضم أباها وأمها وتقول: "أنتوا السبب أنا بكرهكم".

دقائق وانتهت من الحقيبة وخرجت من الشقة مهرولة، ولم تنتظر المصعد ونزلت السلالم، توجهت إلى السيارة وألقت بحقيبتها مسرعة داخل شنطة السيارة وأدارت المحرك وخرجت من جراج البيت لتجد "مروان"، يضع على رأسه لصق مكان الجرح يقف يسأل أحد حراس العقارات على مكانها، قبل أن يشعر بوجودها هربت مسرعة بسيارتها فالتفت ليجدها تنظر له وهي تبكي وينظر لها هو في تحدٍ ويصور أرقام السيارة بهاتفه الجوال.

نصف ساعة ووصلت مادلين أمام بيت جيداء لتجدها في انتظارها، توقفت لتتوجه جيداء إليها وتقول: "انزلي من العربية أنتِ هتركبي معاية، أنا

لقيت حل خلاص".

هبطت مادلين من السيارة وحملت الحقيبة، ووضعتها بسيارة جيداء وركبت بجانبها وقالت: "مروان كان عند بيتي وصور العربية ونمرها".

قالت جيداء: "ابن الكلب ده عاوز ينتقم، بصي كده كده عربيتك هرجع وأركنها في مكان أنا اتفقت عليه المهم دلوقتي امسكي اقري الإعلان ده؟".. نظرت إلى الهاتف الجوال لتجد "Build Your Way" بالتعاون مع الطبيب النفسي "حازم عزمي"، تنشئ أول برنامج تأهيل نفسي في مصر والشرق الأوسط من نوعه، يتضمن برنامجًا علاجيًا متكاملاً يشمل "العلاج النفسي والتأهيل للعمل داخل صفوف الشركة الراعية، مع جائزة مالية كبيرة لكل من يجتاز فترة التأهيل بنجاح"، للراغبين في التقديم وإجراء المقابلة التواصل مع المسؤولين عبر الهاتف المذكور....".

نظرت إلى جيداء وقالت: "يعني إيه مش فاهمة؟".

قالت جيداء بعد أن أدارت محرك السيارة: "أنتِ لازم تختفي كام يوم، أنا قدرت اتصرف في شقة قريبة من هنا هتقعدي فيها كام يوم لحد لما تروحي تقدمي في الإعلان ده وبعدها تخرجي بره مصر معاهم، نكون قدرنا نخلص من الزفت ده، أنا عندي طريقة أخلص بيها منه حتى لو هموتوا، أنا عارفة بنت حصلها قبل كده أذى منه، ودلوقتي أهلها بيدوروا عليه، هدلهم عليه ويتصافوا، تكوني أنتِ خرجتِ بره مصر بالسلامة".

نظرت مادلين إلى جيداء بعين دامعة مقهورة وقالت: "حاضر، أنا مش عارفة أعمل إية، يا رب خلصني من البلوة دي؟!"، ثم أرجعت رأسها على مسند الكرسي وهي تبكي.

*****

"غادة! غادة"، فتحت عينيها بخوف وتحركهما وسط الظلام دون الوصول إلى أي شيء، حاولت التحرك فلم يستجب لها جسدها، لا تعلم هل هي مقيدة بشيء أم أن جسدها أصابه الشلل الكامل،

أطفال تضحك وآخرون يبكون وسط الظلام وصوت واحد مميز لرجل ناضج غليظ الصوت ينهرهم على الشيئين "الضحك والبكاء"، ولكنه يداعب واحدة فقط دون أن ينهرها وهي تضحك بشدة، هدأت الأصوات وسكت كل شيء، خطوات تقترب من أذن غادة، ضربات قلبها في تزايد مستمر كقطار خرج إلى مسعاة وتوقفه الآن مستحيل، تحاول تحريك رقبتها ووجها نحو الصوت فتلمح قدمًا تتحرك في الظلام ناحية منضدة قديمة متسخة تستلقي غادة عليها من دون حراك، تقترب القدم بشدة وتدخل في مجال تميز غادة، "أسفل جسد لشخص ضخم بطيء الحركة وله ثقل في الخطوات"، يختفي فجأة وما زال صوت الخطوات مسموع لغادة، تلتفت يمينًا ويسارًا لتجدة أمامها بل فوقها يحلق ويصيح "غادة" لتفزع وتفيق من نومها وقبل أن تصرخ تجد كاميليا بجانبها تمسح عرقها وهي دامعة العين وتخبرها بأن تهدأ وأن تنظر إلى ذلك الإعلان.

"٧" (مقابلات..)

"اسمك وسنك ومشكلتك"، قالها حازم وهو يشغل الكاميرا ويضعها في يد سلمى الجالسة بجانبه في بداية لقائه مع أحد المتقدمين للبرنامج العلاجي، حـاول عـلاء الابتسـام وعدل من وضعية جلوسه وأمسك بنظارة في توتر، وقال محاولاً إبعاد نظره عن الكاميرا: "اسمي علاء منتصر جوهر، وسني ٣٢ سـنة فـي ينـاير اللـي فـات، ومشـكلتي بعتبـر أنها محرجـة شـوية إنـي أتكلـم فيـها، فعشان كده أنا بفضل أشرح إحساسي وتأثير المشكلة دي عليّ لو سمحتولي ي عن مضمون المشكلة".

ابتسم حازم وقال: "أستاذ علاء واضح إن حضرتك متعلم وده ممكن يكون عامل أساسي إنك تدخل في مرحلة اكتئاب حاد واللي بدأت أعراضه تبان علـى ملامحـك وطريقـة كلامـك، فـي علم النفس وعلاجه لازم نبدأ بجذور المشكلة، ونبدأ نحدد إيه هو الجزأ الفاسد ونستأصله، عشان كده أتمنى إنك تحكي المشكلة من البداية لحد آخرها وبعد كده

تأثيرها عليك وسبب تقديمك للبرنامج طبعًا".

مسح علاء على أنفه وحاول الابتسام لكنه فشل وتمالك نفسه وقال: "أنا اتجوزت من ٤ سنين تقريبًا من واحدة كنت بحبها حب جنون"، ثم نظر إلى الكاميرا في صمت ووجه نظره إلى سلمى وأكمل: "وأعتقد إني لسه بحبها جدا لحد اللحظة دي"، ثم أعاد نظره إلى حازم في تردد وقال: "حياة نضيفة وحال أعلى من المتوسط بشوية، عربية وبيت واسع في مكان هاي، وزوجة بنت ناس جميلة وبتحبني، أو بتحب فلوسي، ابتدت المشاكل تبدأ من بعد أول سنة جواز وتأخر الحمل، ناهد مراتي كانت خايفة إننا نروح نحلل، ولما سألتها وألحيت عليها قالتلي إنها خايفة يكون العيب من عندها، وإني أسيبها أو أتجوز عليها، ابتسم بحسرة وأكمل، طمنتها وقولتلها إني عمري ما هبعد عنها ولو هعيش طول عمري من غير عيال، هي كفاية بالنسبالي، وفعلاً رحنا لدكتور وطلب مننا تحاليل والنتيجة كانت إني أنا اللي عندي مشاكل في تحاليلي، لكن الدكاترة طمنوني

وقالولي إن مع العلاج ممكن أتعالج في ظرف سنة أو أقل، سنة جابت سنة وبدأت ناهد تزهق ومعاملتها بدأت تتغير وصوتها في البداية علي، وبعد كده كرامتي، وبعد كده رجولتي وإني مريض، فضلت متمسك بالأمل لحد من كام شهر عملت تحاليل جديدة، وكانت النتيجة إن في تقدم ملحوظ، وإن العلاج جاب نتيجة، وإني لازم استمر شوية كمان لكام شهر، ناهد مستحملتش وافتعلت مشكلة وطلبت الطلاق بطريقة غريبة، وخلتني أواجه أبوها الباشا وأمها الكونتيسة، وكانت النتيجة إني خرجت عن شعوري وطردتهم كلهم من البيت، صمت علاء قليلاً وبدأت الدموع تملأ عينيه.

قال حازم وهو يدون بعض الملاحظات: "كمل يا أستاذ علاء، الجزء الجاي هو الأهم".. خلع علاء النظارة ومسح دموعه قبل أن تسقط، ثم وضعها وقال بصوت ضعيف، أخذ في العلو: "طبعًا قفلت على نفسي في البيت فترة مش قليلة، خسرت فيها شغلي طبعًا وجزء كبير من شخصيتي اللي

أتشوهت وكمان فلوسي، دخلت في غيبوبة كده غيرت من شكلي ونفسي وطبعي، بقيت شخص تاني، نفسي أرجع لنفسي وأرجع أضحك واشتغل وأنسى اللي حصل كله، وبالمناسبة هو ده سبب تقديمي للبرنامج".

نظر حازم إلى سلمى المتأثرة بكلام علاء، وأصدر سعالاً بسيطًا كي يوقظها من سباتها النفسي، وقال: "تمام كده يا أستاذ علاء، أنا فهمت مشكلتك وإن شاء الله في آخر الأسبوع هنكلم حضرتك، وأتمنى إنك تكون معانا في البرنامج العلاجي ده"، وقف الجميع وسلم علاء وعلى حازم وسلمى، وخرج تاركًا الاثنين يتشاوران في حالته.

دخلت "مادلين" برونقها الجذاب متباهية إلى غرفة المقابلة، حيث حازم يجلس بجانب سلمى وبينهما حديث انقطع فور رؤيتها، وقف الاثنان وسلما على مادلين، وأشار لها حازم أن تجلس وعلى وجهه نظرة تعجب!

جلست مادلين ووضعت قدمها فوق الأخرى،

وظهرت على وجهها ابتسامة مصطنعة علم بها حازم فقال: "ممكن حضرتك تشرفينا باسمك وسنك ومشكلتك"، صمتت مادلين للحظات قبل أن تبدأ قائلة: "اسمي مادلين أسعد، سني ٢٥ سنة ومشكلتي بتتلخص في الوحدة، دايمًا حاسة إني لوحدي، رغم إن عندي أصحاب كتير وبخرج مع بعض بس دايمًا..."، قاطعها حازم بأسلوب مهاجم: "آنسة مادلين أنا بعتذر من حضرتك أنتِ مش معانا في البرنامج العلاجي، تقدري تتفضلي!".

دمعت عين مادلين فزادت تلك العيون جمالاً صارخًا وقالت: "بس أنا مكملتش...."، ليقاطعها حازم مرة ثانية قائلاً: "آنسة مادلين لو إنتي مش حابة تحكي مشكلتك الحقيقية وتشرحيها بالكامل يبقى ملكيش مكان وسطنا، وبكده بضيعي وقتنا وبضيعي فرصة على حد فعلاً محتاج البرنامج العلاجي ده، فبعد إذنك قولي مشكلتك الحقيقية لو عاوزانا نساعدك".

نظرت سلمى إلى حازم بإعجاب فاضح وجهت

فيها الكاميرا على وجهه الوسيم، وسرعان ما تنبهت ووجهت الكاميرا نحو مادلين التي بدأت الحديث من جديد قائلة: "أنا هحكي كل حاجة بصراحة لأول مرة في حياتي، عشان أنا فعلا تعبت ومحتاجة إني أستريح، بداية المشكلة من ٥ سنين تقريبًا لما صحيت من النوم على صوت باب الفيللا بيخبط بقوة وبابا وماما نازلين يشوفوا في إيه!، نزلت وراهم لقيت الفيللا مليانة عساكر وظباط، وقعدوا يتكلموا مع بابا شوية وبعدين سابوه هو وماما يطلعوا يغيروا هدومهم وينزلوا تاني ويمشوا معاهم، مفهمتش حاجة وقتها، وبعد كام شهر اتحكم عليهم واتصادرت كل ممتلكاتهم وأرصدة البنوك ما عدا الشقة والعربية اللي باسمي ومبلغ في البنك، بابا ملوش إخوات وأمي مش مصرية، بقيت لوحدي، ومع الوقت المشكلة اتنست وخصوصًا إني استقليت بحياتي وعشت في شقتي بصرف من فوائد المبلغ اللي في البنك، كملت دراستي واشتغلت في مكان كويس، كان لازم أظهر قدام الناس بحياة كاملة قوية وإني

مسنودة وأبويا راجل غني وإني بنت ناس عشان محدش يفكر يئذيني، صمتت قليلاً وأكملت: "أنا خلقت لنفسي قصة وصدقتها عشان أعرف أعيش، قلت لكل أصحابي إن بابا وماما عايشين بره مصر، وإنهم أغنية جدًا وإني بسافرلهم كل فترة وهما بيبعتولي فلوس طبعًا من وقت للتاني، والحقيقة إني لولا بشتغل وبيطلعلي كام ألف في الشهر كان زماني بعت الشقة وقعدت في الشارع، أنا بعت تقريبًا كل حاجة في الشقة، إلا أوضة نومي عشان أعرف ألبس وأغير العربية، كنت كل لما أبص في صورتهم استحقرهم أوي، أنا عايشة في رعب وخوف، لما بسمع صوت في الشارع بجري على باب الشقة أقعد وراه وأمسك سكينة"، بدأت يدها ترتعش وهي تدمع متأثرة بما تقوله.

قال حازم: "اهدي بس كده ولما تحسي إنك كويسة كملي".. أخرجت سلمى من حقيبتها علبة للسجائر وأخرجت لمادلين واحدة وأشعلتها لها، ابتسمت مادلين وشكرت سلمى، وأكملت وهي تسحب أنفاسًا من السجائر: "القدر رمى في طريقي اتنين

صاحبتي اللي تعرف عني كل حاجة وإنسان حبيته وكنت فاكراه بيحبني". تأثرت أكثر وأكملت: "اتعرفت عليه في حفلة عيد ميلاد لحد من أصحابي في الشغل، كان وسيمًا وموهوبًا جدًا في جذب الانتباه، رسمت إني بنت ناس وإن أهلي ناس مهمين عشان أزيد عنده وأغلى في نظره، بس هو كان تقريبًا عارف كل حاجة، كان ذكي، علقني بيه يوم ورا التاني، مفاجآته كانت كتير وحسيت معاه بالأمان والفرحة والبهجة، نسيت أهلي وحبستهم، نسيت أنا مين، فكرت أن الدنيا هتضحك تاني ليّ وإني هعيش مبسوطة وسنين الحزن والألم والخوف خلصت". قاطعها حازم قائلاً: "اسمه كان إيه الشاب ده؟".

ردت مادلين وهي تخرج دخان السجائر: "اسمة مروان، من كام أسبوع مروان قال إنه محضرلي مفاجأة وإننا لازم نسافر مع بعض، ثقتي فيه كانت من غير حدود، سافرنا سوا حسيت إني طايرة وهو معايا، وإن المفاجأة إنه هيتقدملي وجايب أهله هناك مستنينا، تأثيره عليّ كان قويًا فعلاً،

وصلنا الشاليه بتاعه، وهناك كان محضرلي مفاجأة من نوع خاص، أداني عصير في منوم وحاول أنه يوصل لهدفه اللي كان شايفه فيّ من الأول خالص، دمعت عيناها وأكملت: "القدر كان معايا المرة دي ورحم بحالي يعني، بعتلي صحبتي وهي كانت ماشية ورانا ده كله ولحقتني قبل المصيبة ما تحصل، أنا جيت هنا يا دكتور لأن مليش مكان بره، كل الناس عاوزة مني حاجة ومش عاوزين غير المظهر، أنا مكدبتش لما قولتلك إني فعلا حاسة بالوحدة"، وضعت السيجارة في مدفنها بعد أن أنهت كلماتها ومسحت عينيها وعادت لتلك الابتسامة المصطنعة من جديد!

نظر حازم إلى الأرض وقال: "شكرًا ليكي يا آنسة مادلين، هنتصل بحضرتك آخر الأسبوع، وأتمنى تكوني معانا في البرنامج وأقدر أساعدك".. وقفت وسلمت على الاثنين وخرجت متباهية كما حضرت وكعادتها.

"اسمك وسنك ومشكلتك"، قالها حازم لسليمان

الجالس أمامهم من دقائق، وهو شاحب الوجه يعاني من أعراض انسحاب للمخدرات، جاء الرد مترددًا: "اسمى سليمان ح... هو أنا ينفع مقولش اسم والدي؟".

نظر حازم إلى سليمان وقال: "يستحسن تقول الاسم بالكامل، وتقول مشكلتك بالكامل كمان".

قال سليمان وهو يبتلع ريقه الجاف: "اسمي سليمان حمدي البنداري"، تغيرت ملامح حازم وسلمى ليكمل: "أيوه أنا ابن حمدي البنداري رجل الأعمال المعروف، وأتمنى إن ده ميغيرش حاجة في البرنامج العلاجي لو سمحتوا، لأني بجد محتاج مساعدتكم"، نظر حازم إلى سلمى وقال وهو يعيد نظره إلى سليمان: "طبعًا، طبعًا، اتفضل، المهم تحكي كل حاجة من الأول وبصراحة عشان نقدر نقيم حالتك ونساعدك يا أستاذ سليمان".

قال سليمان وهو يرتعش ويتصبب عرقًا في آنٍ واحد: "اسمي سليمان حمدي البنداري سني ٢٦ سنة ابن رجل الأعمال الشهير طبعًا، اللي مفيش

وراه حاجة غير الشغل والفلوس، أنا اتولدت غني وفقير في نفس الوقت، أنا في الحقيقة فقير مش غني، أنا كل الموضوع إني معيش غير الفلوس، يعني شوية ورق ملهومش أي تلاتين لازمة، لكن من غير أم ومن غير أب، يتيم وأهلي عايشين على وش الدنيا، عيل صغير بيتصرف عليه ببزخ ومن غير حساب، فاشل في التعليم طبعًا ومعايا شهادة ودكتوراه كمان معرفش في إيه، بشوية فلوس يأكلوا قرية فقيرة، كل حاجة غلط كانت أسهل بالنسبالي، عيل صغير عمل كل حاجة غلط ممكن تتوقعها، وكل مرة كانت بتعدي وتدارى، عايش لوحدي بقى وفاضي، بشوف أبويا في التلفزيون وأمي ع الفيس أو الفايبر لما تكون مش جايلها نوم وهي بره في أوروبا، مليش أخوات أو مش فاكر كمان دي، اتجوزت عرفي وهربت طبعًا من المسؤولية أكتر من مرة، حاولت اشتغل وأفتح مشاريع ونسيت عددهم بعد لما خسرت خسارة كبيرة، سهرات وخروجات وشرب لحد الفجر، والأصحاب للمصالح بس، ملقتش حد يحبني بجد

عشـاني عشـان سـليمان بـس مـن غـير سـليمان البنداري وفلوسه، ملقتش غير حل واحد.. ثم أخذ يمرر ذراعه حول كتفه بتألم وأكمل: "الحل ده كان عبارة عن سفر، كل لما أعوذ أنسى أنا مين وابن مين وبعمل إيه أسافر بشمة أو حقنة أو سيجارة كمانن وفي بعض الأحوال حباية، الشعور عبارة عن فـراغ، سـكوت، راحـة، بتحـس أنك بره الدنيا دي بجد، مش عايش، مفني من الوجود، أدمنت أكتر من مرة واتعالجت ورجعت تاني وتالت، بس بجد أنا تعبت ونفسي أخرج بره نفسي، نفسي ألاقي طريق للنور ألاقي سبب للحياة من غير ما أكون غايب عن الوعي، زهقت ومليت وتعبت"، سكت قـليلاً وقـال بتنـهد:"أنا دلوقتـي فـي آخـر مراحـل الانسحاب"، ابتسم وأصدر صوت ضحكة خفيفة "أصـل أنـا خبـرة، وحـافظ الأعـراض كلـها وبقيت متعـود عليها كمان، ممكن أشرحلك الشعور جزء جزء".

نظر حازم إلى سليمان، وقال: "طب أنت شايف إن اللـي أنـت فيـه ده نفسـي ولا عضـوي يـا أسـتاذ

سليمان؟".

نظر سليمان بتألم إلى عين حازم مباشرة، وقال: "أنا مريض يا دكتور، أنا شايف أني مريض بالفراغ النفسي، لو كان ليه مسمى عندكم، أنا عاوز ألاقي نفسي اللي تاهت مني من يوم ما اتولدت، عاوز أخرج بره البلد دي وأبعد عن اسم حمدي البنداري ادفنة للأبد، عاوز أكون أنا وبس، سليمان بس يا دكتور، من غير غلط أو فراغ أو مخدرات أو فلوس كمان، عاوز أتعب عشان يبقى معاية شوية فلوس ميكفوش لحد نص الشهر بس أكون سعيد مع حد بيحبني لنفسي أنا!".

ابتسم حازم وقال وهو يقف: "أنت بجد تستاهل التغير يا سليمان، هنكلمك على آخر الأسبوع، وأتمنى أنك تكون معانا في البرنامج العلاجي ونقدر نساعدك!"، ثم صافحه وتركه يتحرك في طريقه إلى الخروج بجسد هزيل ضعيف يتألم نفسيًا وبدنيًا.

نظرت سلمى إلى بسمة بنظرات مشفقة، وقالت:

"مالك يا بنتي اهدي كده شوية الموضوع مش محتاج الخوف والتردد اللي أنتي فيه، كل الحكاية إحنا هنسجل الحوار ده كله عشان نقدر نراجع على المقابلات ونختار اللي هيسافروا معانا في البرنامج العلاجي".

قالت بسمة بتردد: "بس أنا مينفعش أتصور، الفيديو ممكن يروح هنا ولا هنا وأروح أنا في داهية".

قالت سلمى وهي تبتسم: "هنمسحه علطول بعد لما نحدد المشاركين معانا يعني على آخر الأسبوع".

حاولت بسمة الابتسام، وقاطع حديثها دخول حازم الغرفة، وجلس بعد أن عرف نفسه وقال: "ممكن يا آنسة تقوليلنا اسمك وسنك ومشكلتك؟".

قالت بسمة"حا..حاضر، اسمي بسمة سعيد القاضي، عندي ٢٩ سنة ومشكلتي.. مشكلتي، لا خلاص أنا ماشية!"، وقفت وحاولت الخروج ليقف حازم ويمنعها قائلاً: "بصي بداية حل المشكلة هو

المواجهة، فبعد إذنك احكيلي يمكن أقدر أساعدك، لو سمحتِ".

جلست بسمة على استحياء وهي تجذب ملابسها لتغطي بها قدميها المغطاة بالفعل، وقد لاحظ حازم ما تفعله ودون ملاحظته، بدأت بسمة في الكلام مرة أخرى وسبقتها الدموع التي ملأت العينين قائلة: "حي شعبي، أنا عايشة في حي شعبي، بيت ضيق ورزق ضيق، أكل قليل ولبس قليل وتعليم وطبعًا فلوس قليلة، إحنا أسرة صغيرة، أنا وأخويا وأمي وأبويا مستحملش كام شهر في المرض وإهماله ومات، نزل أخويا اشتغل بدري وساب مدرسته، وأنا كمان نزلت اشتغلت في محل ملابس في وسط البلد، وأمي بتبيع شوية حاجات بتعملها في البيت، اتعرفت على شاب كان بيشتغل في محل قريب مني، حبيته وحبني، كنت فرحانة أوي إني ممكن أخرج من الحارة والمكان والفقر ده ومع حد بحبة، جالي البيت وأخويا رفضه من غير أسباب، وبعد كده عرفت إن حد من المعلمين اللي بيشتغل معاهم عينة عليّ وهو حد

بناكل من وراه عيش يعني، حاولت إني أقنع أمي وأخويه إن الشاب ده كويس ومن أسرة كويسة، وحالهم أحسن من حالنا، محدش سمعني، قاطعني فترة كنت بموت فيها وبعد كام شهر جالي تاني، كنت فرحانة أوي إنه لسه متمسك بيّ وعاوزني زي ما أنا عاوزاه ونفسي أكون ليه، قالي نتجوز عرفي وإن هو ده الحل الوحيد اللي ممكن يجمعنا ويجبر أهلي إنهم يوافقوا، في الأول أترددت بس بعد كام شهر وبعد لما المعلم ده جالنا البيت وأتقدم وأنا رفضت، قلت لازم أتجوز اللي أنا بحبه، فعلاً اتجوزنا عرفي لمدة ٤ شهور، كنت سعيدة أو بتصنع السعادة، بس الأمور كانت كويسة، ليّ حد من أصحابي الله يسامحها قالتلي إني لازم أحمل وأخلف منه عشان أربطه لأنه ممكن في أي وقت يسيبني ويقطع الورقتين، وقالتلي إنه لو عرف إني حامل هيعلن الجواز اللي أتاخر أوي في إعلانه، وفعلاً عملت كده، بس بعد كده أتغير وبعد فجأة عني وسابني مش عارفة أعمل إيه وعرفت من صحبتي إنه سافر بره القاهرة ومحدش عارف

طريقه، مكنش في إيدي حاجة إلا إني أسقط نفسي، وفعلاً عملت كده، بس أهلي عرفوا الموضوع، وكمان كانوا عاوزين يجوزوني المعلم زفت ده، واللي أنا عرفته بعد كده إن صحبتي دي هي اللي عملت كل المصايب دي وهي اللي بعدت عني جوزي، وكمان بلغت أهلي عشان يشوفوني وأنا عند الدكتور بسقط، "أنهت كلماتها وبكتّ".

نظرت لها سلمى في تقزز وقالت: "بس أنتِ كده يا بسمة عاوزة مساعدة من أخصائي اجتماعي مش دكتور نفسي!".

قال حازم وهو ينظر إلى بسمة: "على فكرة بقى إنتي أول واحدة اتقبلتي معانا، ومن النهارده هنحجزلك مكان معانا، ومش هترجعي بيتك إلا لما تخلصي البرنامج العلاجي!"، ظهرت بوادر الأمل على ملامح بسمة، ولكن سرعان ما اختفت بعد أن قالت سلمى: "يعني إيه معانا، لسه في لجنة هتراجع الكلام ده، وبعدين بسمة مش مريضة نفسيًا يا دكتور، ده برنامج علاجي مش مؤسسة

خيرية!".

انفعل حازم قائلاً: "أنا ليّ ٢ اختارهم بنفسي بعيد عن اللجنة وده في العقد، ولا نسيتي، وبعدين أنتِ مش فاهمة حاجة"، ردت سلمى بعد أن هدأت وقالت: "فهمني إِنت طيب يا دكتور؟!".

قال حازم بعد أن هدأ ونظر إلى بسمة كي يطمئنها، ونظر إلى سلمى بعدها: "هدف الدكتور النفسي مش بس محاولة علاج المرض النفسي وتعافي المريض النفسي ومتابعة حالته بعد العلاج، لا الدكتور النفسي هو اللي يلحق المرض النفسي قبل ما يتملك من ضحيته، ويبقى علاجه مستعصي".

نظر حازم إلى سلمى فلمح في عينيها نظرة إعجاب فوجه نظرة إلى بسمة وقال: "وأنتِ لازم تبقى معانا وإن شاء الله نقدر نساعدك يا بسمة"، ابتسمت وهي تشكر حازم وتمسح دموعها وتقلل من ذعرها.

"أنا هكون صريح معاكِ يا دكتور حازم وهقولك

على شعوري لأني محتاج أنسى حاجات كتير حصلت في حياتي، وخصوصًا آخر سنتين بالتحديد"، قالها عادل وهو جالس أمام حازم، وسلمى موجهة الكاميرا إلى وجهه.

اعتدل حازم وقال: "يا ريت تبقى سهلت مهمتي في الوصول لمشكلتك وحلها".

قال عادل:"اسمي عادل شهاب أبو المجد، عمري ٢٨ سنة، مشكلتي بقى طويلة شوية بس أتمنى إنكم تسمعوها وتقدروا الألم النفسي اللي أنا فيه بعيدًا عن أي ميول سياسية"، نظر إليهم فوجد استجابة منهم فأكمل: "من سنتين تقريبًا، كان ليّ نشاط سياسي ملحوظ وسط مجموعة شباب افتكروا نفسهم هيغيروا قيم وأحوال المجتمع الفاسد اللي إحنا فيه ده، وينقوا الجو الملوث ويقضوا على الفساد، وكتير من الشعارات طبعًا، أنا كنت متزعم الموضوع ده واتعرفت جدًا للحكومة، عشان أكون صريح بدءوا بالتهديد في البداية، وبعد كده نفذوا تهديدهم، سنتين يا دكتور حازم عدوا كألفين سنة

من الإهانة الجسدية والنفسية ولك أن تتخيل ومش هتقدر توصل برضه لحقيقة اللي حصل فينا.."، خفض رأسه وهو يتذكر ثم رفعها وقال: "أنا كنت معتقل سياسي في مكان معرفهوش ولا فاكر دخلته أو خرجت منه أمتى وإزاي، كان عددنا كتير في مكان ضيق، أكل مش معروف هويته، مش داري صبح من ليل ولا عارف أنت في يوم إيه وكام ولا حتى عدا عليك قد إيه؟!، أول بس لما يبتدوا بينهدم مسماك كراجل وبتتمنى أنهم يخلصوا بأي تمن أو تنازل من شدة الألم، الخوف هو كل حاجة، هو النفس والسمع والبصر، جحيم مستمر، فترة مش قادر أنسى ولا أشيل من دماغي إهانتي كإنسان وإزاي اتسبب ده في ضرر مادي وبدني كمان ليّ، حاولت أخرج الشعور ده من دماغي بأي طريقة بس مكانش بيخرج، بحلم بيه وأنا صاحي وأنا نايم وساعات بفتكر الألم فأتلم تاني، أنا عاوز أنهي ألمي بجد".

نظر الاثنان إلى بعضهما البعض وقال حازم: "طبعًا أنا مقدر ألمك النفسي قبل البدني، لأن ده شغلي،

أتمنى تكون معانا في البرنامج العلاجي وأقدر أساعدك، مع السلامة"، وقف وسلم على عادل وهو شارد الذهن ويفكر فيما أصاب عادل أثناء اعتقاله.

"غادة هاني عبدالمقصود، أُمال إيه كاميليا في الأبليكيشن؟"، قالها حازم موجهًا كلامه إلى غادة التي تجلس بصمت تنظر إلى مكان ما بالغرفة.

ردت غادة بعد أن أعاد حازم النداء عليها بعد أن نظر إلى موضع نظرها، ولم يستوعب شيئًا "آه، كاميليا بنت خالتي هي اللي قدمت ليّ، هي اللي شافت الإعلان في البداية"، أشار حازم برأسه دليلاً على فهمه لتوضيح غادة.

مازالت غادة تنظر إلى مكان ما بالغرفة أثار فضول سلمى فوجه الكاميرا نحوه، وعادت مرة ثانية إلى وجه غادة، قال حازم: "ممكن تقوليلنا اسمك وسنك ومشكلتك؟".

تنهدت غادة وقالت:"اسمي زي ما حضرتك قلت غادة هاني عبدالمقصود، وسني ٢٤ سنة، ومشكلتي

هي كابوس أو كوابيس بمعنى أصح". نظر حازم إلى غادة وقال:"كابوس وكوابيس، آه، طب ماشي، كملي بس هو ده ليه علاقة بالمكان اللي أنت باصة عليه طول الوقت؟".

أكملت غادة: "ده مش مكان ده خيال، زي اللي في الكوابيس بالظبط، أنا الموضوع ابتدا معايا بعد وفاة بابا وماما في حادثة، انتقلت وعيشت مع أخت ماما وبدأت المشاكل والكوابيس تظهر في حياتي لحد لما بقيت أشوف الشخص ده أو خياله في كل مكان، وأنا صاحية أو نايمة وصبح وليل، وكمان في طفلة بشوفها كتير في كوابيسي، روحت لأكتر من دكتور نفسي معروف ومشهور وكلهم شخصوا حالتي بهلاوس سمعية وبصرية وشوية أدوية ومهدئات مش بتجيب نتيجة، بالعكس الموضوع زاد أوي آخر أيام، ومبقتش بنام ومش عارفة أخلص من الكوابيس دي، وفي تطورات ملهاش تفسير زي حاجات بتتكسر ولمض بتفرقع ونور بيقطع وسرير بيتهز، أنا بقيت بشوفه في كل مكان يا دكتور، أتمنى إنك تقدر تساعدني".

قال حازم: "في حد غيرك بيشوف الكوابيس دي في البيت؟".

قالت غادة: "لا أنا بس ومن بعد وفاة ماما وبابا، قبل كده كنت طبيعية".

مسح حازم على حاجبه الأيمن بقلم وقال: "حد في العيلة كان بيواجه نفس مشكلتك دي قبل كده؟".

قالت غادة: "وراثي يعني؟ هي أخت ماما كانت قالتلي مرة إن ماما الله يرحمها كانت بتجيلها كوابيس كتير من بعد موت جدتي بس الموضوع مطولش عندها ومتطورش وهي صاحية كمان".

مسح حازم على ذقنه بكف يده وقال: "طب هو دلوقتي في خيال في المكان ده اللي أنتِ كنتِ بصاله؟".

نظرت غادة إلى ذلك المكان فلم تجد شيئًا، ولكنها وجدت رجلاً يقف في الركن الآخر من الغرفة ينظر لها من وسط الظلام ولا تظهر ملامحه بشكل جيد،

وضعت يدها المرتعشة على فمها وبدأت عينها تغرورق بالدموع، فنظر حازم إلى ذلك المكان فلم ير شيئًا فقال: "إنتي شايفة إيه يا غادة؟".

ردت بخوف وهي تحاول أن تشيح بنظرها بعيدًا: "واحد واقف باصصلي في الركن المضلم ده، أنا عاوزة أمشي!".

اتجه حازم إلى الركن ووقف بجانب الرجل الذي لا يراه وسألها: "هو كده فين جنبي صح؟" أشارت غادة أنه صحيح، فتوجه حازم ليقف أمامه مباشرة وقال: "أنا كده مغطي عليه صح؟"، فقالت غادة: "آه أنت كده واقف قدامه بالظبط".

قال حازم: "يعني مفيش حاجة يا غادة أهو، الشخص ده وهمي في خيالك وبس"، تحرك الرجل ليخرج رأسه من خلف حازم ويعيد نظره إلى غادة التي أشارت أنه تحرك، استدار حازم مسرعًا ليشعر بشيء من غير رؤيته وتحترق إضاءة أحد أركان الغرفة محدثة فرقعة ليرتعش الجميع، وبعدها تقف غادة وتغادر ليلحق بها حازم ويخبرها بأن

ميعاد الرد سيكون آخر الأسبوع، ويتمنى لها أن تكون موجودة في ذلك البرنامج العلاجي.

بعد أن خرجت عاد حازم إلى مكانه ليجد سلمى تنظر له وتسأله: "إيه رأيك؟ عيانة بإيه؟".

رد حازم مستعرضًا خبرته وملاحظته: "الأعراض هلاوس سمعية وبصرية، بس في شرود وثبات في شخصيتها ودي أعراض متجيش في مرض نفسي واحد، دي حالة خاصة جدًا".

أشارت سلمى إلى أنها استوعبت ما قال وابتسمت وهي تقترب من حازم قائلة: "الوقت ليل ما تييجي نتعشى في مكان رومانسي وبعد كده نسهر سهرة عمرك ما هتنساها!".

ابتعد حازم إلى الخلف وأخذ معطفه وقال:"لا أنا أمي قالتلي نام بدري"، وابتسم وخرج تاركًا خلفه باب الحجرة مفتوحًا وتطل منة سلمى في غضب وتتلقى مكالمة هاتف.

"٨" (ترتيب..)

وقف شاب أمام شرفة بيته ينظر إلى الخارج في تطلع إلى منظر المراكب المضيئة، "طويل الجسد المتناسق بشكل ملحوظ، طويل الذقن صفراء اللون، أبيض البشرة"،يمسك بكأس بين يديه ويتنفس هواء الليل الصافي.

أغلقت أبواب الشرفة فجأة من تلقاء نفسها، فزع الشاب وعاد إلى الخلف قليلاً، لمح في انعكاس زجاج أبواب الشرفة أحد يقف خلفه، التفت سريعًا ليجد شخصًا يشبهه تمامًا ولكنه أكبر منه سنًا، سقط الكأس من يده ليتحطم، أمسك الشخص برأس الشاب المفزوع ووقع به أرضًا، ليختفي الرجل ويظل الشاب ملقى أرضًا مغمض العينين لدقائق.

فتح الشاب عينيه لتتغير عين الشاب إلى الأسود كاملة، وظهر على وجهه بعض من الشيخوخة، وهناك شعيرات بيضاء ظهرت وسط شعر رأسه

وذقنه، وقف واتجه نحو مكتب عملاق، سحب من فوقه "هاتف جوال" وأجرى مكالمة مبتسمًا.

في مكتب خاص بالشركة"Build Your Way"

"ده هيكون اللقاء الأول لينا متجمعين مع بعض كفريق عمل هيقضي ١٠أيام في بيت منعزل عن العالم الخارجي كمحاولة للتغلب على المشاكل اللي بيواجهها كل واحد منكم على حدة، وكمان الهدف من المقابلة شرح التفاصيل والشروط اللي ممكن من خلالها نحقق هدف البرنامج العلاجي، والسبب الرئيسي اللي خلاني أوافق بشكل شخصي على العرض، وهو أن البرنامج العلاجي يمشي على الجدول الزمني المحدد، ويجيب نتيجة إيجابية ويصلح من الأوضاع النفسية لكل واحد منكم"، قالها حازم وهو مبتسم أمام الجالسين، "علاء، سليمان، عادل، غادة، بسمة، مادلين"، ثم نظر إليهم محاولاً استخلاص النتيجة، ثم قال: "واضح أنكم استوعبتم اللي أقصده، طب هسيب آنسة سلمى وهي بالمناسبة الممثل الرسمي للشركة الراعية،

وهتكون ملازمة لينا لمدة ١٠ أيام عشان تقارير البرنامج العلاجي، هي هتشرحلكم بكل دقة شروط البرنامج العلاجي والفايدة منه والمميزات اللي هيحصل عليها كل واحد اجتاز البرنامج العلاجي، اتفضلِ يا آنسة سلمى".. ثم أشار إلى سلمى التي أخذت خطوات واثقة وحلت محله أمام "بورد" للشرح وراسمة على وجهها ابتسامة تضيف إلى أنوثتها الكثير.

شبكت أيديها ببعضها البعض في دلال متعمد، وقالت: "اسمي سلمى، أنا اعتبر الممثلة الرسمية للشركة، في البداية حابة أعرفكم بشركتنا والهدف من البرنامج العلاجي، وثانيًا هشرحلكم المميزات وشروط الشركة في البرنامج وفي النهاية هدي لكل واحد فيكم "ورق" يضم كل اللي هشرحه، وفي الآخر في إقرار هتمضوه عشان حقوق الشركة طبعًا".. ثم نظرت بمكر لتجد ردة فعل إيجابية من أناس أهلكتهم الأيام غرقًا فأكملت لتجبرهم على الانصياع، "آه، طبعًا حابة أعرفكم أنه تم اختياركم من وسط عدد مهول كان متقدم،

واللجنــة قــررت أنــها تختــاركم لأسـباب متعلقـة بنواحي كتير، فا اللى مش حابب يكمل يقول من أول جالسة عشان في كتير على الويتينج ليست، مستنين ربع الفرصة دي".. أشارت بيدها بعلامة تمــام، "بضــم القبضــة وإرســال الإبــهام"، فلاقــت استجابة كبيرة بنفس الإشارة.

أمسكت سلمى بقلم "ماركر"، ورسمت ثلاث دوائر وكتبت بكل واحدة فيهم ثلاث كلمات"Build Your Way" و"فــــريق العمــــل" و"البرنــامج العلاجــي وشروطه"، ثم رسمت سهمًا يشر إليهم على شكل مثلث.

نظرت إليهم وقالت: "الموضوع بكل بساطة متعلق بالتلات كلمات دول، اسم الشركة وأنتم وشروط الشركة وبرنامجها العلاجي اللي لازم نلتزم بيه مع بعض عشان المثلث يكمل".

تحركت سلمى لتقف أمام "البورد"، لتجذب انتباه الحضـور، وقـالت: "الشركة الراعيـة، وهـي شـركتي اسـمها"Build Your Way"، هـي شـركة اسـتثمارية

ضخمة بتشتغل في عدة مجالات، ومجالها الأساسي هو السياحة وبتزود وتتوسع في مجالات تانية، ومنها التنمية وجزء من التنمية بيدخل فيه معالجة المشاكل النفسية وده اللي إحنا بنحاول ننفذه لأول مرة كشركة في مصر والشرق الأوسط، وإن شاء الله مع دراسة الجدوى والترتيبات والإجراءات والدراسة الكاملة هتكون النتائج مبهرة"، أشار عادل كي يسأل فقاطعه بأنوثة طاغية: "والأسئلة بعد لما أوصلكم الفرصة بالكامل لأن ده مهم، مرسي".

عادت وأمسكت بـ"الماركر"، وأشارت إلى الدائرة الثانية، وقالت: "فريق العمل، أو بمعنى أصح الناس اللي هتروح وتحضر البرنامج العلاجي سواء مسؤولين أو دكاترة أو مشتركين وبلاش نقول مرضى أو حالات، العدد مش هيكون كبير والتوزيع كالأتي، ممثل الشركة والمراقب وهو أنا سلمى، الطبيب المعالج وهو الدكتور حازم طبعًا والمشتركين وبيتمثل في ٦ أفراد وهم أستاذ علاء، أستاذ سليمان، أستاذ عادل، آنسة غادة، آنسة

مادلين، مدام بسمة، معلش أقصد آنسة بسمة طبعًا، وهيكون في أفراد تابعة للشركة خارج المكان عشان إجراءات تانية واحتياجات تانية مش هيفيدنا شرحها".. نظرت لها بسمة في غضب وحاولت الانسحاب من المكان، أشار لها حازم بابتسامة أن تجلس وتهدأ.

التفتت سلمى بشكل استعراضي جذاب، وقالت بصوت مسموع: "وكده هيكون فاضل البرنامج وشروطه والمميزات في الآخر عشان الصورة تكمل، البرنامج باختصار زي ما هو موضح في الورق ده"، قالتها وهي توزع عليهم أوراقًا منسوخة، وعادت مكانها، "هتلاقوا في الصفحات الأولى البرنامج بالتفصيل وملخصه هو أننا هنتوجه للمكان اللي وقع عليه الاختيار وهو قصر قديم يعتبر من التراث، في مكان هادئ مش هنقول عليه لأن ده من شروط البرنامج لكن اللي أقدر أوضحهلكم إننا هنكون في أمان لمدة ١٠ أيام معانا تصاريح بكده معانا أكلنا، والمكان مجهز بكاميرات وخدمات تتماشى مع العصر الحديث زي

الدش والميكرويف والكمبيوتر، وكل حاجة ممكن تتخيلوها، المدة المتفق عليها ١٠ أيام تشمل العلاج المكثف، وجلسات مجمعة وأساليب الدكتور حازم أدرى بيها، نيبجي لحتة الشروط، هيكون ممنوع الموبايلات واللاب توب، المكالمات هتكون ليها أوقات والكمبيوتر متوافر في المكان من أجل البرنامج العلاجي بس، المكان هيتقفل علينا بأبواب من حديد والشبابيك متركبلها حديد، وقبل ما حد يسأل هو إحنا محبوسين هقوله "لا"، بس لو مش راضي بالشروط أتفضل سيب مكان لغيرك، أو لو حسيت إنك محبوس وحابب تنسحب قول وقت البرنامج العلاجي، وهتفضل تخرج ونوصلك لحد بيتك، بالنسبة للكاميرات هي للحراسة وإجراءات أمنية مش لمراقبتنا خالص، في نهاية البرنامج العلاجي، كل الأبواب هتتفتح وهنخرج سوا من هناك محققين كل النتائج المرجوة من الـ١٠ أيام دول!".

قال عادل في توتر:"أنا بكره الأماكن المقفولة، مبحبش أحس إني محبوس، أنا بنسحب من

دلوقت"، نظرت سلمى إلى حازم الذي تدخل وقال: "وفي حالتك دي يا أستاذ عادل أعتقد أن الوضع ده هيساعد أكتر إننا نحل مشكلتك بسرعة المواجهة، من فضلك فكر في قرارك"، جلس عادل بكل هدوء مقتنعًا بما قيل له ونظر بثقة إلى حازم.

قال سليمان: "تمام، دي الشروط والبرنامج والوضع اللي هنكون فيه، إيه بقى المميزات اللي هتعود علينا غير اللي في الإعلان؟".

ابتسمت سلمى بمكر وقالت: "ده الكلام المفيد يا أستاذ"، ثم نظرت إلى الكشف بجانبها وأكمل: "سليمان، صح؟"، رد عليها بابتسامة فأكملت: "المزايا كتير وأولها، أن اللي هيعدي من البرنامج ويجتازه بنجاح ويؤكد دكتور حازم واللجنة المشرفة تكيفه مع الوضع وامتثاله للعلاج هيحصل على مبلغ مالي ٥٠ ألف دولار، وده مبلغ قوي وهيكون عنده فرصة حسب اختياره أن ينضم لصفوف الشركة، وأنه يقدر يشتغل في أي من مشاريعها في أي مجال بره أو جوه مصر، وممكن

كمان يستثمر معانا وحاجات تانية كتير موجودة في الورق اللي معاكم"، وضعت يدها على الأخرى وقالت: "أنا كده خلصت وإن شاء الله هيكون بينا مواقف وكلام كتير في البرنامج العلاجي طوال الـ١٠ أيام، وعلى فكرة أنا شايفة إن العرض ده ميترفضش"، ونظرت إلى حازم وقالت: "مش كده ولا إيه يا حزوو، يا دكتور حازم؟".. ابتسم حازم بخجل وقال: "بعيد عن الماديات والمزايا، الجانب النفسي أهم بالنسبالي وكل اللي أنا عاوزه من الـ ١٠ أيام دول إن كل واحد مشارك يرجع من هناك وهو طبيعي، قادر أنه يواجه مشاكله، وقادر أنه يستحمل الضغط المجتمعي والضغط النفسي تحت أي ظرف كان، أنا اتشرفت بيكم ومستني أسئلتكم"، انتظر إلى أي سؤال فوجدها صحراء جرداء، علم أنه يعاني في ذلك البرنامج، ولكنه رأى أن هناك بينهم من يحتاج المساعدة حقًا.

قال بعد أن شرد قليلاً: "و لو مفيش هكون مستنيكم يوم الثلاثاء الجاي قدام المقر هنا، محدش يقول هو رايح فين، ولا مع مين، مفيش

موبايلات ولا لاب توب أو آي باد ولا عربيات، الموضوع سري للغاية ومهم، أتشرفت بيكم، امضوا الورق وسلموه للريسبشن لو سمحتوا"، ثم خرج وأغلق الباب خلفه في هدوء، تاركًا الـ٦ أشخاص ينظرون إلى بعضهم في ريبة وتفاؤل وخوف وأمل.

"٩" (القصر...)

رحلة طويلة مرهقة قاربت على الـ١١ ساعة من دون توقف داخل حافلة خاصة بشركة"Build Your Way"، تأفف البعض وكلما سألوا أجابت سلمى بأن المكان قد اقترب، لا توجد هواتف ذكية للتسلية أو أفلام للترفيه، ليس إلا بعض الكتب التي أحضرها حازم معه، لم يود أن يشغل وقته الطويل بشيء مفيد أثناء الرحلة الطويلة كعمر مديد.

دخلت الحافلة مارة بين بوابات حديدية ضخمة تعود لعصر مضى، وقد قاربت الشمس على السقوط، تاركة مفاتيح الأمور بيد ليل قاسٍ غليظ الظلمة والسكون، توقفت الحافلة في ساحة كبيرة، لابد أنها كانت حديقة فيما سبق، هبط رجال يرتدون بذات سوداء كحراس خاصين وتبعتهم سلمى، ثم حازم الذي ظل يمسح بوجهه المكان، وهو يخلع نظارته الشمسية وتبعه كل من علاء وسليمان وعادل من دون تردد، وهبطت ببطء غادة متوجسة تنظر إلى قصر، وقد انتابها قبضة

أرعشت جسدها، "مادلين" قبل أن تهبط من الحافلة نظرت حولها في تأفف، ثم هبطت بمساعدة أحد الرجال، ثم في النهاية "بسمة" بخوف وخجل تهبط متشبثة بملابسها.

وقف الجميع متراصين جنبًا بجنب أمام قصر مهيب المنظر، قديم الطراز لكنه أثري يبهر من ينظر إليه، خيم الظلام سريعًا، دخل الجميع يحملون حقائبهم وكل لوازمهم من ملبس واحتياجاتهم، البرد عم المكان أكثر من خارج القصر، الإضاءة ممتازة بتلك النجفة العملاقة في وسط الساحة، كل شيء يبدو هنا كأنه جديد لكنه من عصر قديم، لابد أنه انتقل عبر آلة زمنية أتت به إلى هنا بكامل جماله وصلاحيته، بيانو ضخم يحتل جزءًا لا بأس به وسط تماثيل وألواح فنية جميلة، ويكتمل المظهر الفني الإبداعي بستائر حمراء تزين النوافذ والمداخل والطرقات، ومثيل لها سجاد يحمل نفس اللون الجذاب الأنيق.

ظل الجميع يتابع بعينيه كل ذلك الجمال لدقائق

من دون كلل أو توقف أو شعور بالوقت، كأنه بيت جيد، وانتقلوا كي يسكنوا إليه حديثًا، قطع ذلك الانبهار صوت لبوابات حديدية تجر لتغلق مداخل القصر وبوابته الرئيسية، كما هو متفق عليه ومن بعده صوت الحافلة ترحل وعم السكون في الخارج.

هرع عادل ومن خلفه غادة، وأزاحا الستائر الثقيلة حمراء اللون ليجدا أنهما بالفعل قد أغلق عليهم جميعًا البوابات كما أن النوافذ بها حديد من الخارج لا يسع لفرد طبيعي أن يعبر خلاله، بدأ عادل في الشعور بضيق والتشنج والعصبية المفرطة، توجه حازم وحاول تهدئته قائلاً: "بص دي بداية علاجك، أنت قادر تتعايش مع الوضع، اهدى واسمعني"، هدأ عادل نسبيًا بينما دخلت غادة في حالة شرود وهي تنظر إلى صور اللوحات القديمة، منها صور لأشخاص قد عاشوا هنا داخل القصر من فترة طويلة، ومنها لوحات مبهمة لا معنى لها أو لا يفهم معنى لها، أيقظها حازم بالنداء عليها قائلاً: "غادة، غادة، بعد إذنك قربي!".

اقتـــربت غــادة وتوسـط حــازم دائـرة مغلقـة مـن الموجودين بدأ حديثة قائلاً: "هنمشي زي ما هو فـي البرنـامج العلاجـي بالظبط، كل حد هيستلم الأوضة بتاعته، ياخد دش سخن ويرتب هدومه في الدولاب، وبعد كده هنتجمع هنا عشان العشاء اللـــي هنحضـره سـوا كنـوع مـن أنـواع المشـاركة والتعارف، وبعد كده هنحضر لأول يوم عمل فعلي اللي هو بكرة، هنعزف شوية على البيانو وده اللي هيقوم بيه سليمان، لأن ده من هواياته وده في ملفه، ولو مادلين حابة تغنيلنا حاجة بصوتها اللي هي بتعتز بيه زي ما كتبت في مذكراتها ع الفيس من كام يوم، هنقرا ونلعب وننام قبل الساعة ١٢ نص الليل، وبكرة هنصحي الساعة ٧ صباحا"، نظر إلى ساعة ثم قال: "يلا كل واحد على أوضته زي ما هـو مكتـوب علـى الـورق اللـي استلمه ودلوقتـي الساعة ٧ هنتجمع الساعة ٩ مساءً، انتشروا".

حمل كل فرد حقيبة، ونظر إلى رقم غرفة كما هو مكتوب وموصوف مكانها في الورق الخاص به،

تفرقوا بشكل منتظم صعودًا على السلالم، ثم إلى الممرات تاركين خلفهم غادة شاردة تنظر إلى زوايا القصر، وإحدى اللوحات تخص أحد أفراد القصر في خوف، ثم أفاقت لتلحق بهم.

بعد مضي ساعة ونصف الساعة انتهى سليمان من ترتيب متعلقاته وحمامه الدافئ، ارتدى "تيشيرت أسود وبنطلون أسود"، ليضيف إليه جاذبية خاصة، ساعته التي يعشقها بماركتها العالمية، وعطره المميز القادم من باريس، خرج من غرفته يصدر"صفيرًا"، وهو منتعش ويشعر براحة لم يشعر بها من فترة طويلة، رواق طويل يقوده إلى السلالم، ومنها إلى الساحة الرئيسية للقصر، حيث المكان المتفق عليه، اللوحات تجذبه بشدة، وما لفت انتباهه لوحة لسيدة تجلس بثوب أبيض خفيف أقرب إلى الشفافية وعيون واسعة خضراء، وشعر أصفر متطاير وبياض للوجه مموج بابتسامة ساحرة، وقف ناظرًا يتأملها وهو يدندن بطريقته الخاصة، أحس بخطوات خلفه استدار سريعًا ليلمح طرف ثوب أبيض يعبر إلى داخل غرفة،

تعجب وتوجه إلى تلك الغرفة، رائحة عطر نسائي جعلته يغمض عينيه متعة، وصل أمام الغرفة حاول فتح باب الغرفة، وقبل أن يفتحه فتح الباب من تلقاء نفسه ليجد أمامه سلمى تنظر له في تعجب وتقول: "هي دي أوضتك ولا إيه؟، أنت لسه محفظتش أوضتك؟" أمال سليمان برأسه وأشار إلى الداخل وقال متسائلاً: "هو أنتِ لسه داخلة من شوية؟ كنتِ بره يعني ورجعتي تاني؟"، خرجت سلمى من الغرفة وأغلقتها وأشارت لسليمان قائلة: "شكلك كده لعبي ومش جاي تتعالج، بص أنت مش قدي"، ثم تركته واتجهت إلى الرواق الطويل، والتفتت وقالت: "آه وخليك بعيد عن أوضتي لو سمحت"، ثم ابتسمت ابتسامة ماسخة واستدارت تاركة سليمان متعجبًا.

أخرجت مادلين فستانًا أحمر جذابًا يليق بشخصيتها وطبيعتها، وضعته أمامها ناظرة إلى المرآة القديمة الكبيرة، وجدته ملائمًا، بدأت في تمشيط شعرها، سمعت صوت دقات قادمة من حائط ما في الحجرة، تتبعت الصوت ووصلت إلى

مصدر الصوت، وضعت إحدى أذنيها لتستمع إلى صوت من يستخدم مطرقة، ويتحدث إلى آخر بقسوة وينهره، صوته غير مألوف، انتهت من ارتداء فستانها وخرجت متجهة إلى الحجرة المجاورة مصدر الصوت، طرقت الغرفة عدة مرات من دون استجابة، طرقت مرة أخرى أقوى، فُتح الباب ومصدر أزيز وأظهر ظلامًا خلفه، دفعت مادلين الباب بقوة لينفتح ويدخل الضوء إلى داخل الحجرة لتلمح عينًا أضاءت في الظلام، أمسكت صرختها وعادت إلى الخلف لترى العين تهرول نحوها وتجد قطًا صغيرًا يمر وهو مصدر صوته الناعم، أغلقت الباب ويدها ترتعش وذهبت إلى الرواق في طريقها إلى أسفل، حيث الساحة الرئيسية للقصر.

خرجت غادة من حجرتها ترتدي ملابس أنيقة ذات طبيعة جذابة مع الاحتفاظ برونق الجمال، سارت داخل الرواق الممتد، وصلت إلى السلالم ليتبادر إلى مسمعها صوت العزف على البيانو، صوت عزف جميل شعرت معه بود وألفه، اقتربت وهي تتمايل

قليلاً مبتهجة، اقتربت من البيانو الذي يفصل بينها وبين سليمان، ويغطي عليه فلا يظهر منه سوى قدميه بحذاء أسود لامع قديم الطراز قالت: "أنت بتعزف حلو جدًا يا سليمان، زي بتهوفن"، جاء الرد: "مش سامعك يا غادة، على صوتك"، رفعت من صوتها قائلة: "أنت بتعزف حلو يا سليمان زي بتهوفن"، ازداد رتم العزف واصبح ضجيجًا، قالت غادة: "خلاص كفاية، خلاص"، صاحت ولكن أصبح العزف نشاذًا مؤذيًا للآذان، تعصبت وغضبت التفتت حول البيانو وهي تصيح لتصدم من الجالس على البيانو أنه ليس سليمان إنه رجل عجوز بزي باشوات ينظر لها بعين سوداء بالكامل، ويبتسم بأسنان سوداء وهو يقول: "غادة" صرخت غادة ووقعت أرضًا فاقدة الوعي، سمعها عادل وهو بالقرب منها على سلالم القصر وهرع نحوها ممسكًا بها وصاح: "يا جماعة حد يلحقنا، يا دكتور حازم"، ليهبط الجميع متسائلين ويحضر أحدهم زجاجة عطر وكوبًا من الماء لتفيق وهي مفزوعة وتنظر إلى البيانو ولا تتفوه ولكنها ترتعش.

مرت دقائق وهدأ الوضع، ذهب سليمان إلى البيانو وبدأ العزف، بينما وقفت سلمى وجذبت بسمة ومادلين وقالت: "يلا عشان نحضر العشا".. فقاموا مبتسمين، بينما جلس علاء بجانب عادل الذي يظهر عليه التوتر وقال: "مالك يا أستاذ عادل ولا اسمحلي أقولك يا عادل، متوتر ليه من ساعة ما جينا هنا"، قال عادل بشرود وهو ينظر إلى غادة الجالسة وبجانبها حازم يتحدثون: "السجن والحبسة بيعملوا في الناس أكتر من كده ودي البداية بس".. حاول علاء الابتسام مجاملاً، وقام واتجه إلى سليمان مصفقًا ومحييًا إياه.

بعد تناول العشاء، جلس الجميع يتسامرون ويتبادلون أدوارهم التعريفية، وميولهم وذكرياتهم، وبعد الانتهاء من اللعب والمزاح دقت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، وقف حازم وقال: "اتبسط أوي معاكم، وكان يومًا ممتعًا وأنتوا فعلاً ناس جميلة ومتنوعة، الكل ينام عشان بكرة عندنا يوم طويل من الشغل، آه والكاميرات بدأت شغل من دلوقتي، تصبحوا على خير".. ثم تركهم وتوجه

إلى أعلى ودخل إلى غرفته، بينما ابتعدت سلمى من وسط الجميع وذهبت إلى رواق بعيد أخرجت هاتفها الجوال وأجرت مكالمة، وهي تترقب الجميع خائفة، ثم توارت عن الأنظار داخل غرفة لا تخصها!!

"١٠" (اليوم الأول... الثالثة فجرًا...)

صوت مكتوم لأحد يحاول التحدث مرارًا وتكرارًا، تستفيق "غادة" على هذا الصوت داخل حجرتها بالقصر قليلة الإضاءة، تلتفت حول نفسها تبحث عن ذلك الصوت، فلم تجده، تعود للنوم مرة أخرى ليتزايد الصوت مرة أخرى وبشدة، تفزع "غادة" وتزيح الغطاء وتنزل أرضًا باحثة عن مصدر الصوت، تخطو خطوات حريصة، تتصبب عرقًا بقلب متأهب خاوٍ، تسمع الأصوات بوضوح تلك المرة وتتوجه لمصدر الصوت، إنه قادم من جدار ما مزين بستار باهظ الثمن وخالٍ من كل شيء إلا من صورة كبيرة تخص أطفالاً جالسين أرضًا مكبلين ومكممي الأفواه، ينظرون إلى شخص يجلس لا تظهر ملامحه، اقتربت غادة أكثر لتقف أمام الصورة مباشرة، وهي تتساءل عن مصدر الصوت، بأنفاس متقطعة ورعشات خفيفة تلتفت وتخطو خطوة واحدة لتفزع من صوت آخر

لأطفال، ولكنه ألم تلك المرة، تلتفت سريعًا لتجد أن الصورة تتحرك، وأن هؤلاء الأطفال اقتربوا جدًا عما كانوا عليه وهم يتوسلون لغادة أن تفك وثاقهم، ويشيرون إلى الجالس فوق الكرسي ولكنه غير موجود تلك المرة، تحرك غادة رأسها يمينًا ويسارًا غير مصدقة ما يحدث، وهي تتراجع للخلف، تتعثر وتسقط أرضًا صادمة رأسها بأرضية الغرفة، الرؤية مشوشة ولكنها ترى أطفالاً حولها من كل مكان، وفجأة يصرخون ويهرولون لتجد أمامها ظلاً لشخص أسود مغطى الجسد لا تتبين ملامحه يمد يده ويعتصر وجهها حتى تفقد الوعي وتغيب عن الواقع.

خطوات لأطفال تتسارع داخل الرواق الذي يتفرع منه كل الغرف، محدثين ضجة وهمهمة ويظهر خلفهم خيال ضخم لجسد يطاردهم في غضب، يصدرون صرخة تفزع كل من بالرواق، ويخرج الجميع على ذلك الصوت متسائلين عن مصدره؟ ويظل الجميع ينظر لبعضهم البعض في تساؤل ولا يجيب أحد، كل منهم أخذ ما حدث على محمل

ثقافته واعتقاده، وبدأ يتوقع سببًا منطقيًا أو غير منطقي لما حدث، نظر حازم إلى الجميع وقال: "الساعة لسه ٣ يا شباب، خلينا بكرة نتناقش في اللي حصل، تصبحوا على خير"، وقفت بسمة بتردد تنظر إلى الآخرين وهم يدلفون إلى حجراتهم في خوف، ثم دخلت إلى غرفتها وأغلقت من الداخل وأحضرت كرسيًا لتغلق به المقبض وذهبت إلى فراشها وغطت جسدها بالكامل حتى وجهها، بجانب الفراش يجلس رجل مغطى الجسد لا تظهر سوى عينيه الشبه مضيئة، ينظر إلى بسمة بتركيز!

في تمام السابعة صباحًا يصدر صوت موسيقى عالية، ولكنها ليست مزعجة ويتخللها عدة كلمات من حازم، "بداية أول يوم من البرنامج العلاجي، نص ساعة يا شباب والتجمع في الساحة عشان الفطار والبرنامج، يلا.. نشاط".

أفاق عادل في ضيق وتأفف، لأنه معتاد على السهر طوال الليل والنوم آناء النهار، أزاح الغطاء وقال: "سبعة إيه بس"، ثم تنهد وأزاح الغطاء، هبط إلى

أرض الغرفة الملكية بكل تفاصيلها الجميلة، توجه لكي يغتسل، فتح الباب الخاص "بدورة المياه" تذكر شيئًا وقال: "آه نسيت، معجون الحلاقة"، في تلك الأثناء ظهر رجل مغطى الرأس ينظر إلى أسفل مطأطئ لم يلمحه عادل، وبمجرد عودة عادل اختفى الرجل، ولكنه ظل يقف في ركن مظلم وسط الغرفة يترقب عادل وهو يحلق ذقنه عن كثب!!

سليمان يستلقي بكسل على فراشه الأشبه بكومة من القش، ألقى الغطاء أرضًا، مسح على وجهه، اعتدل بصعوبة مصاحبة للألم بجميع أنحاء جسده، يبدو أن أعراض الانسحاب أوشكت على الانتهاء، رفع رأسه لأعلى متزامنًا مع أخذ نفس عميق مليء به صدره، أدار رقبته يمينًا ويسارًا ليحدث "طرقعة" بين فقرات رقبته، ابتسم ونهض مسرعًا.

تتساقط المياه بمرونة على جسده، يتذكر والده وتحكمه الجبري بكل شيء يخصه، في تعليمه وفي اختياراته، يدق الباب الخاص "دورة المياه"،

يتعجب ويغلق تدفق المياه، يلف جسده بمنشفة، يفتح الباب فلا يجد أحدًا، يخرج إلى باب الحجرة ويفتحه ليلمح شخصًا من ظهره بملابس سوداء يعبر الرواق في هدوء متجهًا إلى أسفل، ابتسم وعاد ليكمل ملابسه، فهو دائمًا ما يحب المزاح وقد بدأه أحدهم بالفعل.

أفاق علاء على صوت الموسيقى الطاغي، والذي بـدأ يتصـاعد بشكل مزعـج، وضع يـده على "الكومودينو" بجانبه فلم يجد النظارة، بحث في الجانب الآخر فلم يجدها، هبط من فوق الفراش ونظر إلى الأرض فلم يجدها، اضطرب فهو دونها لا يكاد يرى شيئًا، الرؤية ضبابية وليس هناك بديل لها، أخذ يتفوه: "هي فين بس؟ أنا سبتها على الكومودينو، أنا فاكر، وقعت في الأرض ولا تحت السرير"، قالها وهو يهبط بجسده أسفل الفراش الضخم، وجدها أسفل منتصف الفراش، مد يده وأخذها ولبسها ليلمح قدمًا حافية لطفلة تقف من الطرف الآخر للفراش، فتح فاه وبرزت عيناه من الخوف، سحب جسده برفق، وحاول أن يقف ليعلم

من تلك الطفلة، يرتعش وبالكاد يستجمع أنفاسه، أخذ القرار ووقف لكنه لم يجد أحدًا، هبط مرة أخرى إلى أسفل الفراش فلم يجد أحدًا، تعجب وجلس على الأرض يتمتم: "في إيه بس؟ ها".. ليلمح أحد على يساره ينظر بحذر ليجد طفلة متسخة الملابس بجسد أقرب إلى اللون الوردي تصرخ في وجهه، ويبادلها هو الصرخة ليفيق من نومه على ارتفاع صوت الموسيقى بشكل مبالغ.

مسح عرقه وقال: "الحمد لله، كان حلم، كان حلم"، وضع يده على "الكومودينو"، بحثًا عن نظارته فلم يجدها، اضطرب وأخذ يبلع ريقه في خوف ومن دون النظر وضع يده على الطرف الآخر ليجدها، اصدر ضحكة يسخر بها من حاله، واتجه كي يغتسل ويرتب ملابسه.

حضر الجميع جلوسًا على مائدة الطعام التي أعدها حازم بمساعدة بسمة ومادلين وسلمى، لاحظ سليمان عدم وجود غادة فقال: "أمال فين غادة؟"، نظر الجميع إلى بعضهم فقال حازم: "أستأذنك يا

مـادلين ممكن تشـوفيها".. أشـارت مـادلين وهـي تقول: "حاضر"، وقبل أن تقف ظهرت غادة وهي تـهبط علـى السـلالم بفسـتان أسـود جـذاب، لفـت انتباه الجميع، ويبدو أنها تأخرت كي تتجهز بتلك الطريقـة وتسـرق الأنظـار فـي أول يـوم لـها فـي البرنامج العلاجي داخل هذا القصر.

أصدر سليمان صفيرًا يحيي به غادة، بينما تعلقت عين حازم بغادة حتى جلست قائلة: "صباح الخير، أهـو سـبعة ونـص بالـدقيقة، أنـا بحـب المواعيـد الدقيقة".. ابتسم الجميع ومازال حازم معلقًا عينيه بها حتى شعرت سلمى فركلته بقدمها كي يفيق وهي تقول: "إيه القمر ده يا غادة"، وضغطت على أسنانها، نظر حازم إلى سلمى وقال: "إحنا معانا هنا نـاس حلـوة كتـير زي مادلين وبسمة وغـادة، أنتِ كمان".

ظـهرت العقـرب مشـيرًا إلـى الثامنـة صـباحًا علـى ساعة حازم التي يرتديها، وهو جالس بين أفراد البرنـامج العلاجـي، مكونـين حلقـة مغلقـة وقـال:

"الجلسة دي بنسميها تعارف أو تبادل ادوار أو فضفضة أو أي مسمى والمفروض إن كل واحد بيحكي عن أكتر حاجة نفسه يحققها وأكتر حاجة بيخاف منها أو بيخاف تحصله، حتى أنا هشارك ومعنا سلمى طبعًا".. نظرت له سلمى وقالت: "لا أنا مش حالة"، قال حازم: "ده تعارف ومفيش معانا حالات، كلنا هنا "تيم" غرضه المصلحة العامة للكل، هتشاركي".. وابتسم لتقابله بسمة بابتسامة ساخرة.

نظر إلى الجميع خاطفًا ملامحهم المتأهبة وقال: "مين حابب يبدأ؟"، لم يجب أحد فقال: "خلاص هنلتزم بالدور الموجود في البرنامج العلاجي".. أمسك بالورق الخاص به وأخذ يقلب في الأوراق حتى توقف وقال: "البرنامج العلاجي مختار بسمة أول حد هيتكلم عن نفسه بكل ثقة وكمان هيشرحلنا نفسه يوصل لأيه؟ وإيه أكتر حاجة بيخاف منها؟".

أصدرت بسمة سعالاً بسيطًا، عندما توجهت الأنظار

إليها وقالت بتردد محاولة الابتسام ثم عادت بنظرها إلى الأرض: "أنا اسمي بسمة، وبالمناسبة أكتر حاجة نفسي أوصلها أو طموحي، بمعنى أصح إني عاوزة أحس إن ليّ كيان ونجاح، وإني غالية عند اللي حواليا، عاوزة أكون عارفة هعمل إيه بكرة، وهيكون عندي إيه؟ وقتها، نفسي يكون عندي اللي يكفيني ويفيض للزمن، أما بالنسبة للي بخاف منه فهو كتير أوي، أنا عايشة في جو مليان خوف زي القهر والفقر والجهل بس أكتر حاجة بخاف أنها تحصلي هي الوحدة، لأن أنا مبعرفش أكون لوحدي بخاف أكون في خطر ومحدش ينجدني، بس".. تأثر الجميع بكلماتها ونظروا إلى بعضهم البعض.

أومأ حازم برأسه بالموافقة وابتسم قائلاً: "ممكن تقوليلي حاسة بإيه دلوقتي بعد لما قلتي الكلام ده؟، أنا عاوز إحساسك خام زي ما هو، أقرب وصف للي حاسة بيه!".

ابتسمت وقالت: "حاسة إني مش خايفة، حاسة

أني قوية، إني اتكلمت عن نفسي وحكيت عني من غير خوف ولا كسوف، حاسة أني حرة!".. صفق لها حازم وأشار لهم أن يفعلوا بالمثل وقال: "وده اللي بنسميه القوة البيور أو الخام بنقدر نكسبها من الثقة أو النجاح أو جلسة زي دي برافو يا بسمة".. بعد أن انتهى الجميع من التصفيق، نظر حازم إلى الأوراق وقال: "اللي بعده هو سليمان"، ثم نظر إلى سليمان وقال: "سليمان طموحك أو هدفك وأكتر حاجة بتخاف منها، دورك"، مسح سليمان على أنفه وقال: "هدفي إني ألاقي هدف لنفسي، هدفي إني اختار لنفسي طريقي، طموحي إني أوصل لحاجة بعد لما اتعب عشانها، وأموت سواء كان حب أو شغل أو حتى سفر إن شا الله عجلة، بس أقدر اختار بنفسي، أما بالنسبة لأكتر حاجة بخاف منها فهي اللي أنا عايش فيها طول الوقت، ونفسي أخلص منها السيطرة، إني يكون حد مسيطر عليّ وده اللي كنت بعانيه طول حياتي وهتخلص منه قريب، هتخلص منه وهبني طريقي وأحدد هدف وطموح ليّ".. ثم ابتسم وهو ينظر إلى عين

مادلين، فعل حازم ما فعله مع بسمة من تصفيق وقال: "أنت ممتاز يا سليمان، سليمان هنا قدر يولد طاقة إيجابية وحل كمان لمشكلة مش كده وبس لا ده كمان رسم لنفسه خطة وأدى لنفسه الحافز، وده نجاح في حد ذاته"، صفق الجميع له فقال حازم: "استمروا على الروح دي يا شباب، اخلقوا الطاقة الايجابية واتخلصوا من الطاقة السلبية نهائي برافو!".

دقت الساعة الخاصة بحازم على الساعة الـ٩ قال: "استراحة ربع ساعة وبعد كده هنبدأ أنشطة وجلسات فردية على حدة هتنتهي على ميعاد الغدا الساعة ٣، محدش يشتت تفكيره، وكل يوم هنعمل جلسة زي دي و٢ هيشاركوا زي النهارده، يلا يا شباب اتجولوا كده في المكان ويا ريت مع بعض".

تتبع سليمان "سلمى"، التي سحبت نفسها من وسط الجميع وتوجهت إلى الرواق المؤدي إلى الغرف، ثم نظرت حولها ودخلت الغرفة كأنها ترتب

لشـــيء مــا، انتظــر سـليمان خروجـهـا فــي تــرقب وتتبعها بنظرة حتى ابتعدت، ودخل هو إلى تلك الغرفة كي يكتشف الأمر الذي تدبره.

ظلام يخيم على أجواء الغرفة، الإضاءة لا تعمل وهــو لا يســتطيع تــرك الغرفـة مفتوحـة حتــى لا يجذب الانتباه، أخرج قداحة وأشعلها لتبدد بعضًا من قطع الظلام ويظهر بعض من معالم الغرفة التي تحتوي مكتبًا ضخمًا عليه بعض الأوراق ومكتبة ضخمة تمكث خلفه، وهناك "صالون" مذهب كثير القطع، تجول داخل الغرفة بحذر، سمع صوتًا ما يحدث داخل الغرفة التفت ناحية الصوت فتحرك الصـوت سـريعًا، أخـذ يلتفـت حـول نفسه ولم ير شيئًا، أحس ببرودة وبدأ حدسه يخبره بخطر ما، اتجه إلى الباب في خوف بلا سبب وخرج ليغلق البـاب خلفـه تـاركًا أفكاره تخمن ما تـدبره سلمى داخل تلك الغرفة.

مادلين تسير بجانب غادة ويتحدثون عن جمال تلك اللوحات التي تبهر من ينظر إليها، أشارت غادة

إلى مادلين على لوحة للقصر من الخارج قائلة: "بصي يا مادلين دي صورة القصر تقريبًا"، لم تتلق ردًا نظرت خلفها وبجانبها فلم تجد مادلين، الستائر تغلق من تلقاء نفسها لتمنع أشعة الشمس من الدخول، أضواء مرتعشة تأتي من أضواء المكان الضعيفة وأخذت في التقطع، برودة قارسة وبخار ماء يتصاعد من فم غادة، تحول الطقس إلى التجمد، غادة تحاول أن تدفئ يدها بشتى الطرق بلا فائدة، الرواق أصبح فجأة له بابان ولا وجود للغرف التي كانت تقبع بداخله متفرعة منه يمينًا ويسارًا.

باب مغلق في الخلف وباب مفتوح أمام غادة، وهي في منتصف الرواق الذي أصبح ضيقًا عما كان عليه، الباب المغلق أعلن عن فتحه بأزيز بطيء وقدم ثقيلة لها وقع وصوت يسمع، ظهر من خلف الباب، شخص يرتدي ملابس سوداء مغطى بها بالكامل، ولا يظهر سوى كفيه، أشار إلى غادة ملوحًا بيدة، تراجعت غادة في خوف، خطى خطوات قليلة وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، إلا

من بعض الكلمات مثل "روح، ثمن، توماد"، ثم وقف ليفصل بينهما أمتار قليلة.

صاح الشخص فجأة وهرول ناحية غادة، صرخت واتجهت نحو الباب المفتوح وقبل أن تصل إليه أغلق في وجهها، حاولت أن تفتحه وهو يغلق من دون فائدة، صرخت بشدة واقترب الرجل وقبل أن يمسك بها فتح الباب لتجد مادلين في وجهها ويظهر على ملامحها القلق والفزع، وحاولت تهدئة غادة قائلة: "أنتِ اختفيت فجأة كده إزاي يا غادة، وكنتِ بتصوتي ليه في إيه؟"، دمعت عينا غادة وكادت أن تسقط لتصيح مادلين قائلة: "يا جماعة يا دكتور حازم ألحقوا غادة!".

اجتمع الكل داخل غرفة غادة المستلقية على فراشها وبجانبها مادلين، ومن الجهة الأخرى حازم، نظر إلى غادة التي استعادت وعيها وقال: "إيه يا بنتي مالك إيه اللي حصل؟"، دمعت عين غادة وقالت: "مش عاوزه أحكي"، ضم حازم حاجبيه في غضب وقال بصوت خافت: "بس أنتِ هنا عشان

تتعـالجي وده وارد أن يحصـل وعـارفين بيـه ومحضرين ليـه كمان، المهم دلوقتي أنك تهدي عشان تبدئي جلساتك، بصي استريحي دلوقتي وأنا هخليكي في الآخر قبل العشاء هنتكلم سوا"، ثم نظر إلى مادلين وقال: "لو عاوزه تخليكي معاها مفيش مشكلة"، أشارت مادلين بالموافقة وهي تمسح على رأس غادة بحنان وهي تبتسم.

خرج حازم وتبعته سلمى قائلة: "إيه الحنية دي يا حزوم؟ هي صعبانة عليك ولا محلوة في عنيك"، نظر لها حازم في استغراب لما تقوله، وقال: "اللي أنتِ بتقوليه، أنا هنا عشان الشغل وبس، "ثم تركها وسار إلى وجهته، والتفت لها مرة أخرى وقال: "وكلكم بالنسبالي شغل وبس".

الثامنة مساءً، وقد حضرت غادة لتجلس مع حازم حسب البرنامج العلاجي، ظهر على ملامحها الإرهاق والخوف ممزوجين بفقدان الأمل، حاول حازم الابتسام والتخفيف عنها وقال: "بصي يا غادة، إحنا هنفترض إنك هنا عشان فترة نقاهة،

يعني ترجعي فرش لحياتك الطبيعية من غير مشاكل، هسالك كام سؤال وتقوليلي بصراحة، ومن غير كسوف ده علم وده شغلي، "ابتسمت غادة كوردة ذابلة أرهقها المستعملون وقالت: "حاضر يا حازم اتفضل".

قال حازم مباغتًا: "أنتِ بتشوفي إيه؟ وصف شكل صوت إحساس أي حاجة!".

سكتت لبرهة ودمعت عيناها وقالت: "كل دول في وقت واحد ومش كده وبس بحس بيهم".

تعجب حازم وقال: "يعني كام شخصية بتعرفي تفرقيهم وتتعرفي عليهم، هما ما بيتغيروش خالص؟".

توترت أعصابها وارتعشت أطرافها وقالت: "أطفال كتير بس في واحدة علطول بشوفها وراجل أسود أو لابس أسود وراجل لابس أبيض وسبحة كبيرة".

قال حازم: "أطفال وشخصين بالغين؟ صح؟"، ردت غادة بالإيجاب فسأل حازم مجددًا"، طب مين أكتر

حد بيفزعك فيهم، وهل الشخصيات دي كلها عاوزه أذيتك؟".

قالت غادة: "الراجل أبو سبحة لا هو بيحاول يقولي على حاجة بس مش فهماه بيقول زي فوازير كده، والأطفال بيخوفوني بس حاسة إني بشفق عليهم، وأنهم عاوزين حاجة مني، لكن الراجل اللي لابس أسود هو ده اللي بيئذيني بجد وحاول".

قال حازم في حيرة: "إنتي شوفتي الشخصيات دي في الحقيقة قبل كده في فيلم أو صدفة في أي مكان، يعني شبه حد تعرفيه؟".

قالت غادة: "لا بس مش دي المشكلة يا حازم، المشكلة إني بشوفهم إذا كنت نايمة أو صاحية"، ذهل حازم من قول غادة، وحاول أن يستفسر من جديد ولكنه قال قبل أن يسأل: "خلاص كفاية كده، يلا عشان العشا وكمان السهرة النهارده فيها حاجات جديدة هتخرجك من المود".

ابتسمت غادة وقالت بلطف سائلة: "حازم" فنظر لها بابتسامة: "هو أنا مريضة نفسيًا؟"، نظر لها حازم في حيرة وقال: "هنحاول منمشكيش من هنا كده"، يلا بينا بقى.

اكتمل اليوم الأول بالعشاء والعزف وبعض الألعاب الجماعية التي خلقت نوعًا من الألفة وعند الثانية عشرة منتصف الليل أخبر حازم الجميع أن يتحركوا إلى غرفهم كما هو المعتاد للنوم والتجهز لليوم الثاني وأخبرهم أنهم بالفعل يتقدمون حسب الجدول الزمني للبرنامج العلاجي بل وأفضل، ثم تركهم وذهب إلى غرفته، أخرج عدة كتب وأخذ واحدًا يقرأه بتركيز شديد.

"١١" (اليوم الثاني... الثالثة صباحًا..)

صوت موسيقى جميل يتردد على مسامع "بسمة"، التي تتبعه مصدرة وهي تدندن وتتراقص، دخلت إلى رواق طويل فرعي يبعد عن أماكن مبيت المجموعة، عالي السقف تتراص غرف مغلقة على يمينه ويساره ومزين بستائر حمراء ذات شكل مبهر وسقفه مليء بالـ"النجف"، المطرز بماء الذهب كثير"الكريستال"، ضخم الشكل.

بسمة ما زالت تتبع النغمات المبهرة لعازف عالمي من دون وعي، الصوت يسحبها إلى آخر الرواق، حيث غرفة تطل وحيدة مغلقة ومحاطة بالسلاسل، بحثت عن مصدر الصوت بعد أن عادت إلى رشدها لتجده قادمًا من الأعلى، صرخت صرخة مكتومة عندما وجدت أن كرات "الكريستال" هي السبب في ذلك، تتحرك من تلقاء نفسها لتصدر صوت عزف جميلاً، تراجعت واضعة

يدها أمام فمها خوفًا لينتقل العزف من "نجفة" إلى أخرى وتتزايد سرعة العزف، كلما تزايدت سرعة بسمة في الهرب، وبعدها دوت صيحة لرجل أجش الصوت.

تصلبت مفاصل بسمة وحركتها، أظلم المكان، ولم تعد هناك إضاءة إلا بالقرب من الحجرة المغلقة، صوت السلاسل يتحرك وينسدل أرضًا من تلقاء نفسه، الباب يفتح بصوت أزيز مؤلم للنفس، يظهر خيال لكرسي ضخم ورجل عظيم الجسد يجلس فوقه مغطى الوجه غير واضح المعالم ويقول: "الضلمة خوف وفزع صح؟، وخوفك وضلمتك هتستمر، مش هو ده اللي أنتِ بتخافي منه؟ الوحدة في موقف زي ده؟".

نظرت بسمة خلفها فلم تجد إلا جدارًا لم يكن له وجود، وقف الرجل وتحرك باتجاه الرواق خارجًا من الغرفة لتفقد بسمة الوعي وتقع أرضًا بعد أن أصدرت صرخة سمعها الجميع.

خرج عادل مسرعًا على صوت صراخ بسمة،

ليجـدها فاقـدة الوعـي ملقـاة أرضًا أمـام جـدار مرسوم عليه عدة رسومات متداخلة، خرج البقية تبـاعًا يسـألون عما حدث بكسل وتثاؤب، اقتـرب حازم وقال: "إيه اللي حصلها يا عادل؟ في إيه؟"، نظر عادل بتعجب وقال: "أنا معرفش أنا خرجت على صوتها، وهي بتصرخ، أنتوا مش سمعتوه؟" أومأ الجميع بصحة ما قاله في سماع الصراخ!

اقتربت سلمى معها عطر قوي المفعول، ووضعته بقوة داخل أنف بسمة، التي أفاقت تبكي وتقول: "عفـريت، عفـريت واتكلـم معـايا"، وأخـذت تنظـر حولها لتجد من يقابلها بسخرية، ومن يهدئ من روعها، ومن تركها وعاد إلى غرفته، بينما اقتربت غادة إليها، وقالت: "شكله إيه؟".

اقترب حازم كي يستمع إلى الرد مع غادة لتقول: "راجل أسود أو لابس أسود وصوته صعب، وكان في أوضة مقفولة واتفتحت فجأة"، نظرت غادة إلى حازم كأنها تخبره أنه نفس الرجل التي حكت عنه أمس، قاطعها حازم ليبعد ما تفكر به وقال:

"طب يلا بينا الوقت متأخر، البنات يناموا سوا والرجالة براحتهم"، ثم دخل إلى غرفته يفكر فيما يحدث.

نفس تلك الموسيقى تعود لعملها في تمام السابعة وتتعالى رويدًا بعد صوت حازم قائلاً: "بداية تاني يوم برنامج علاجي، التجمع بعد نصف ساعة في الساحة للفطار، يلا نشاط يا شباب".

أفاق عادل أكثر نشاطًا ذلك اليوم، هبط من فراشه سريعًا متحمسًا، نظر إلى نفسه في المرآة وابتسم، وضع المنشفة على كتفه واتجه ليغتسل، فتح باب "دورة المياه" ليجد رجلاً جالسًا أرضًا بملابس سوداء مفزعة، ويهتز إلى الإمام والخلف في ثبات، أحس عادل بفزع تراجع للخلف في خطوات حريصة، أغلق الباب في خوف وأمسك مقبضه بقوة جاذبًا إياه، هدأ نسبيًا، اتجه إلى باب الغرفة وفتح بابها، وهم بالخروج لكنه شعر بأنه جبان، ويجب أن يواجه ما يقابله، عاد إدراجه وتحلى بالقوة، فتح الباب بقوة وابتعد ولكنه لم يجد أحد،

ابتسم في خوف وعدم استيعاب، دخل إلى "دورة المياه" غسل وجه سريعًا، وهو تارك الأبواب مفتوحة ثم خرج مسرعًا، وهناك من ينظر إليه من بين باب إحدى الغرف الشبه مفتوحة.

أفاق سليمان من نومه مسرعًا وبنشاط غير مسبوق، صوت الموسيقى يتعالى رويدًا وهو يشير بيده في محاولة منه لمجاراة الرتم الخاص بالعزف، ينظر إلى المرأة ويبتسم، يخلع ملابسه سريعًا ويلتقط منشفة من الخزانة، يركل باب "دورة المياه" بقدمه لتفتح، يدخل تحت المياه في حالة من الهذيان المشوب بابتسامة المخمور والغائب عن الوعي، تنهمر المياه فوق رأسه في رتابة، يصدر الباب صوت دقات لا يعبأ لها سليمان في أول الأمر، ولكنه نظر إلى الباب في عدم اهتمام، يعيد من بالخارج الفعل مرة أخرى وتتعالى الدقات، يفيق سليمان من لذة النفسية ويتخلل الخوف رويدًا إلى قلبه فقد حدث مثل ذلك بالأمس.

قطرات الماء تتساقط من جسده، وهو يخطو خطوات باتجاه الباب في خوف وحذر وتتناسق دقات قلبه مع ارتطام قطرات الماء بالأرضية الفاخرة، يمسك المقبض ليجده يدور في يده، وكان أحد يحاول الدخول عنوة، يمسك بالمقبض بقوة ويستند بجسده ليمنع انفتاح الباب فيزداد الطرق بشدة وفجأة ينتهي.

ثوانٍ كالسنوات، وقد تبخر الماء من على جسد سليمان بفعل حرارة جسده المرتفعة، أغمض عينيه وقرر فتح الباب، أخذ نفسًا عميقًا وفتح الباب في سرعة فلم يجد أحدًا، ابتلع ريقه وأخذ نفسًا، وقبل أن يظفره دق باب الغرفة بقوة، فتح سليمان عينيه في خوف واتجه نحو الباب قائلاً: "مين اللي بيلعب معايا اللعبة السخيفة دي؟"، سمع صوتًا غير مألوف من الخارج قائلاً: "وأنت إيه اللي خلاك تفتكر إني بلعب معاك؟ مش ممكن أكون عاوز أسيطر عليك؟ مش ده اللي بتخاف منه صح؟".

ابتعد عن الباب في فزع ثم ازداد عصبية وفتح

الباب فلم يجد أحدًا، نظر في الرواق فلم يجد شيئًا، أغلق الباب واتجه كي يرتدي ملابسه، وهو يفكر بما يحدث وفي نيته إخبار الجميع بما حدث معه.

"كل يوم موسيقى ووجع دماغ ع الصبح"، قالها علاء وهو يمسح وجهه ويفرك عينيه من أثر النوم، تثاءب في كسل، مرر يده على"الكومودينو"، فلم يجد نظارة، وضع يده على فمه وتذكر ما حدث معه أمس، أمسك بجزء من شعر يده وجذبة فتألم بشدة، قال"انا مش بحلم، انا مش بحلم" بصوت خافت جدا لا يكاد يسمع، تنهد ومد يده إلى الطرف الآخر من الفراش "الكومودينو الآخر"، فلم يجد النظارة هناك، ابتسم بسخرية، أزاح الغطاء والعرق يتصبب منه، هبط أسفل الفراش والرؤية غير واضحة، تحسس الأرض حتى لمست يده شيئًا، اقترب أكثر ليجد أنه يلامس يد طفلة تنظر له عن كثب ضاحكة، رغم ملامحها الغريبة، أمسك النظارة وارتداها في خوف، رجف قلبه وأحس بسكين يخترق أحشاءه من مظهر وجه الفتاة، إنها

ميتة ولكنها تنظر له ببراءة الأطفال بذلك الوجه المتورد.

سحب نفسه ببطء ونفسه يتقطع مصدرًا سعالاً، وقبل أن يخرج بكامل جسده يلمح حذاء أسود لأحد يقترب من الفراش وبعدها يقف ويسحب الفتاة التي تبكي بشدة من الخوف وهي تصرخ، يدخل علاء بكامل جسده تحت الفراش في خوف، وهو يحاول استرجاع آيات قرآنية لا تمحو ذاكرته جزءًا منها، السكون عم المكان إلا من صوت قدم تتجول بالغرفة حتى وصلت بجانب الفراش، وتزايدت أعداد الأقدام لتصبح عشرات الأقدام، إنه محاط برجال لا يعلم من هم، يرتفع الفراش رويدًا من فوق علاء الذي ينظر بخوف المستتر، يحاول النهوض والخروج مسرعًا لكن يباغته الفراش وهو يصطدم فوق رأسه ليفوق في خوف وجذع من ذلك الكابوس المفزع، يتأفف ويمسح عرقه ويبحث عن نظارته ليجدها بجانب الفراش على"الكومودينو"، ويرتديها وهو يمرر نظره عبر كل أركان الغرفة برهبة.

وحسب البروتوكول اليومي والبرنامج العلاجي المحدد مواعيده وجدوله الزمني جلس الجميع على مائدة طعام واحدة كبيرة تتوسط الساحة للقصر غير المريح، يتناولون الطعام وكل منهم يبادل النظرات إلى الآخر كذئاب تجلس على تأهب للهجوم أو توخي الحذر للدفاع المفاجئ، كل منهم يحمل في طياته الكثير والكثير من التساؤلات، لا أحد هنا وعلى تلك المائدة الضخمة ليس بمريض نفسي ولو بجزء بسيط، انتهى الفطار دون أن يتفوه أحدهم بكلمة تجاه الآخر، صمت رهيب يبدده صوت "موتور" سيارة بالخارج تقترب.

ترك الجميع ما يتناولونه من أيديهم وتوجهوا مسرعين يزيحون الستائر في نهم لمن هو قادم حتى تبين لهم أنه أحد المارة في طريقه إلى السفر، التفت الجميع في خيبة أمل ليجدوا حازم ما زال جالسًا ينظر لهم، وهو يرتشف من كوب شاي وقال: "الظاهر إن لسه قدامنا كتير عشان تقدروا تعدوا المرحلة الأولى من العلاج، وهو

التغلب على مخاوفكم، الواضح إنكم مكونتوش صداقات ولا نشأ بينكم أي نوع من أنواع الثقة لحد دلوقتي!".

انفعل عادل وقال: "مينفعش نعيش بشكل طبيعي جوه مكان حابسنا ومقيد حريتنا"، نظر له حازم وقال: "وأنت إيه اللي مقيد حريتك يا عادل؟"، ثم نظر إلى البقية ويقف وقال: "السؤال مش بس لعادل ليكم كلكم على فكرة، إيه اللي مانعكم من مواجه مشكلتكم، إية اللي مخليكم متكتفين في مكان براح زي ده واسع ومليان تحف، وكل حاجة عاوزينها موجودة وكمان مش دائم".

اتجه الجميع من دون رد تاركين حازم في سكوت واجتمعوا في حلقة التعارف كاليوم الذي يسبقه، ناظرين إلى بعضهم البعض كأجساد خاوية من كل شعور أو إحساس.

أمسك حازم بالأوراق الخاصة بالبرنامج العلاجي، وقال: "الدور النهارده على "علاء ومادلين"، ثم نظر إلى الاثنين وقال:"مين يحب يبدأ فيكم؟"، نظر

علاء إلى مادلين وقال: "ليدس فيرست"، ابتسمت مادلين وقالت: "ماشي يا بشمهندس، مش بشمهندس برضه؟" ابتسم علاء وأشار بالإيجاب.

صفق حازم تشجيعًا لمادلين، واتبعه الجميع هربًا من الحالة النفسية السلبية، وبدأت مادلين قائلة: "ممكن أكون مش صريحة مع ناس كتير، وممكن أكون محكتش لحد عني بصراحة ويمكن كنت عايشة قبل كده بوشين، بس النهارده أنا حاسة إني معنديش حاجة أخبيها، ومش خايفة إني أقولكم ظروفي وخوفي وأحلامي"، نظر حازم في رضا، وأشار لها قائلاً: "برافو أوي"أكملت مادلين"، أنا فقيرة لدرجة كبيرة أو يمكن لدرجة كارثية ومليش يد في كده، أنا فقيرة ماديًا ونفسيًا وإنسانيًا ومجتمعيًا، معنديش أهل أب أو أم هما بالمناسبة في السجن بسبب قضية واتجحز على كل أملاكهم وملهمش قرايب في مصر، فأنا مليش أهل فعلاً، ماديًا معنديش غير مرتبي الشهري وشقة فاضية وعربية ده غير التليفزيون، والسرير اللي في أوضتي ومرتبي اللي بيخلص على مظهري، نفسيًا

تحت الصفر بمراحل زي كده موسكو في الشتا، اجتماعيًا معنديش غير صديقة واحدة أعتقد أنها مكسبي الوحيد من الحياة، أنا محدش عاوز يبقى جنبي عشاني، عشاني أنا مادلين، في ناس جنبي عشان الشكل وناس عشان الفلوس زي ما هما فاكرين وناس عشان جسمي مثلاً"، ثم دمعت عيناها وأكلمت: "محدش عاوزني أنا عشان روحي وإحساسي، أنا نفسي أحس بأمان وأنا نايمة في سريري مش كل حركة ترعبني وتخليني أقوم أجري على باب الشقة وفضل قاعدة لحد لما أنام وأنا قاعدة مكاني من الخوف والتعب، نفسي أحس بأمان مادي أو نفسي أو اجتماعي على الأقل..". ثم سكتت ونظرت إلى الأعلى وأكلمت: "أما عن خوفي أو أكتر حاجة بخاف منها هي إني حد يعرفني على حقيقتي ويستغل ده ضدي زي ما حصل من كام أسبوع بس".. صفق الجميع وقال حازم: "أنتِ مستريحة يا مادلين بعد لما اتكلمتي؟"، نظرت مادلين إلى حازم وابتسمت وقالت: "حاسة إني أحسن". قال حازم في تفاخر"شكلنا لازم نكثف

الجلسات المجمعة بتجيب نتيجة أكبر وعلى فكرة دي فكرتي الخاصة مكانتش في البرنامج العلاجي أصلاً".. ابتسمت سلمى بمكر وقالت: "أنت موهوب يا دكتور حازم وعشان كده أنا اخترتك أنت بالذات للبرنامج".

تجاهل حازم ما قالته سلمى وقال: "علاء! احكيلنا، الدور عليك".

أمسك علاء النظارة بكلتا يديه وألصقها بوجهه وقال: "عاوزين تعرفوا عني إيه؟"، ردت مادلين في عجالة: "كل حاجة"، فرمقتها بسمة بضيق، قال علاء:"أنا من أنصار كلمة، خلي الطابق مستور"، قال حازم: "بس مينفعش هنا مش كل حاجة مستورة بتريح"، ابتسم علاء وقال: "صح يا دكتور حازم، بصوا أنا معنديش حاجة تستخبى واللي أنا فيه مش بإيدي خالص، مشكلتي وطموحي أو حلمي مش فارقين كتير، لأن مشكلتي هي حلمي"، تعجب الجميع، فنظر لهم علاء في أسى وقال: "مشكلتي وحلمي هي ناهد، وده اللي لازم أغيرة هنا قبل ما

أخرج من باب القصر ده"، تابعة حازم باهتمام وهو يدون ما يقال، قال علاء: "ناهد هي مشكلتي وحلمي اللي حلمت بيه زمان، وبحلم بيه دلوقتي، ناهد بالمناسبة طليقتي، اتعرفت عليها وحبيتها من أول نظرة زي الأفلام، مناسبة ليّ ولشخصيتي ومناسبة لمستواي المادي والاجتماعي، بنت جميلة، بنت ناس أو كنت فاكرها كده، بتحبني وبتبادلني نفس الشعور، كنت جاهز ماديًا ومؤهل نفسيًا إني أتجوز مع ترقية جاتلي في نفس الوقت، الأمور تمت بسرعة، والكل كان مرحب ومبسوط، سنة عدت في سعادة بس في آخرها بدأت المشاكل، مخلفناش!!"ابتسم بسخرية وأكمل: "ناهد كانت خايفة لحسن أسيبها وأتجوز عليها عشان كده قعدنا سنة كمان ومعملناش تحاليل عشان كانت فاكرة العيب عندها، بس أنا أصريت إننا نعمل تحاليل عشان لو في علاج نتعالج وفعلاً روحنا، هي طلعت سليمة وأنا طلعت، طلعت "ثم رفع عينيه إلى الأعلى بأسى، وقال: "يعني ربنا أراد أننا ننفصل بس الطريقة هي اللي كانت صعبة

وأثـرت فـيّ، ناهـد طلعـت إنسـانة تانيـة أو مـش إنسانة أصلاً، والمشكلة إني مقدرتش أنساها يوم واحـد ولا ثانيـة لحـد لمـا بـدأت الكلام معاكم دلوقتي"، نظر حازم وقال: "طب أنت نفسك في إيه؟".

قال علاء مبتسمًا: "نفسي أبطل أحبها، نفسي أرجع زمان شوية ومخترش أنا اللي شبهي، هسيب اللي شبهي يختارني، وعلى فكرة التحاليل قالت إني هبقى كويس، بس هي خدت قرارها لأنها مكانتش بتحبني وده اللي فهمته متأخر، أنا عاوز أرجع لحياتي الطبيعية وناهد ممسوحة من قلبي وعقلي ومكانهم واحدة شبهي وبس"، صفق الجميع، بينما ظهرت ملامح راحة على وجه علاء، رصدها حازم سريعًا وقال: "كده الروح رجعت تاني للكل، ايجابيات يا شباب، الحياة كبيرة أوي لو أنت عاوز تشوفها كده فرصها كتير وناسها أكتر الفشل والنجاح شيء طبيعي وأنت اللي بتختار متخلوهاش تصغر وتبقى زي خرم الدبوس، راحة يا شباب".

بعد يوم طويل جمع بين المشاركين في البرنامج العلاجي وجعلهم كالعائلة الكبيرة، كما توافقت القلوب والأحاسيس واتفق الجميع دون إبداء على الخروج من ذلك القصر سويا من غير أمراضهم النفسية، ووسط ابتسامات وغمزات وغناء وعزف انسحبت سلمى من تلقاء نفسها، صعودًا إلى الطابق العلوي، حيث الحجرات وأماكن المبيت، انسحب بعدها سليمان في خفة وظل يراقبها، وقال: "البت البلوة دي وراها سر"، نظرت سلمى بتلك الطريقة مرة أخرى، وهي تتلفت حول نفسها مترقبة الوضع ولا تريد من أحد أن يراها أو يعلم ما تفعله، دلفت إلى نفس الحجرة كما حدث في الليلة السابقة، تتبعها سليمان واقترب من الباب ليجد صوت سلمى بالداخل تتحدث إلى شخص غليظ الصوت ولكن لغته غير مفهومة، أحس أن هناك من يحيك للجميع شركًا، فتح الباب عنوة وبقوة فلم يجد شيئًا سوى الظلام وفراغه الغاوي، دخل إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه في رتابة صوت أزيزه المضني، خطوات سمعها في الخارج

اتجه إلى وسط الغرفة في رهبة وتساءل، "هي راحت فين بنت الأبالسة دي؟"، لينفتح الباب من تلقاء نفسه بقوة ليجد سليمان نفسه أمام حازم وبجانبه سلمى ينظران له في عدم ارتياحية وتعجب، دب الخوف كالرعد في صدره جعلة يخرج ويدفعهم متوجهًا إلى أسفل السلالم.

حل الليل وهدأت الأجواء، وقد قاربت على منتصف الليل، غادة تجلس وسط الجميع ناعمة ومؤنسة بمن حولها ووسط عزف سليمان الموهوب ومزاح مادلين المقبول تحول وجه غادة إلى العبوس، وقفت متأهبة وبدأت تدمع عيناها وهي مثبتة على طفلة ملقاة أعلى السلالم، وهي تحتضر وتلفظ آخر أنفاسها وقبل أن تتحرك غادة باتجاهها سحب جسد الطفلة بقوة وكأن شيئًا لم يكن، تنبه حازم إلى ما حدث وقام ووقف بجانب غادة قائلاً: "أنتِ شوفتي حاجة تاني يا غادة؟"، بعين دامعة ورقبة مرتعشة قالت غادة: "آه فوق السلالم دي كان في بنت بتموت"، قال حازم: "هي هي نفس البنت اللي بتشوفيها كل مرة؟"، قالت في خفوت:

"لا دي أول مرة أشوفها"، ثم نظرت إلى حازم في فزع، وقالت: "أنا بنسحب أنا عاوزه أمشي من هنا"، ودخلت في حالة من العصبية والتشنجات التي لم يفهمها أحد سوى حازم، واندفعت نحوها مادلين كي تهدئها.

ساعة مرت في محاولة إقناع غادة على البقاء باءت بالفشل، فقال حازم: "خلاص هي خدت قرارها، آنسة سلمى أستأذنك اطلبي من مستر "روهان" أن في مشتركة هتخرج بكرة وجهزي كل الإجراءات"، وبالفعل أجرت سلمى مكالمتها وبعد دقائق قالت: "أنا بالفعل كلمتهم وفي عربية هتييجي الساعة ٧ الصبح تاخد آنسة غادة وترجعها لحد باب بيتها"، بعد تلك المكالمة أصدرت الساعة وصولها إلى منتصف الليل، وهو وقت النوم فاتجه الجميع إلى حجراتهم، بينما توجه حازم إلى سليمان وقال: "بكرة هنتكلم عن موضوع الأوضة ده، ولازم يكون عندك سبب تقوله يا أما هخرجك من البرنامج زي غادة، أوعى تكون لسه بتضرب أو بتتعاطى مخدر؟"، نظر له سليمان بشرود وقال:

"بكرة يا دكتور حازم بكرة"، ودخل كل منهم إلى غرفة.

"١٢" (اليوم الثالث... الثالثة صباحًا..)

حازم يجلس على كرسي يهتز في ضوء خافت، وقد قارب على الانتهاء من كتاب بعد أن شعر بالتثاؤب والنعاس، أغلق الكتاب بعد أن علم صفحته ووضعه على منضدة قريبة من الكرسي، اتجه إلى الفراش واستلقى وقبل أن تلتئم جفونه معلنة عن نومه سمع صوت تحرك الكرسي، نظر باتجاهه في عدم تركيز فوجد الكتاب فوقه، ولكن الكرسي ثابت، تنبه وعاد إليه وعيه، وقف على قدميه وتوجه إلى الكرسي وأمسك بالكتاب، نظر إلى المنضدة وأوشك أن يضع الكتاب فوقها ليجد أن الكتاب هناك بالفعل ما زال فوقها، نظر إلى يده ليفاجأ بشعر كثيف، ألقاه أرضًا في تقزز، عاد إلى فراشه يفكر حتى غلبه النوم، وذهب في غياهبه.

في تمام السابعة وعلى صوت الموسيقى الكلاسيكية تدخل الشمس إلى غرفة "غادة" على

استحياء متقطعة الأشعة مارة من بين ستائر ضخمة تحجبها لتصنع خيوط من ضوء يبدد ظلام الغرفة بضعف ووهن.

غادة في لحظات بين النوم والإفاقة، تشعر بصفاء ذهني أقرب إلى الشرود وهي ممدة على ذلك الفراش الواسع، لا تفكر في شيء فقط السكون هو سيد الأمر، تحاول أن تستعيد ذكرياتها ولكن عقلها متوقف عند هذا الشعور باللاشيء واللاهدف، تشعر بشيء يتحرك من حولها، لم يكن شيء بل أشياء كثيرة، قبل أن تصرخ تخرج عدة أيادٍ تكمم فمها وتمسك ذراعيها ورجليها وحتى وسطها، لقد تكبلت في الفراش بواسطة أيادي أموات متوردة البشرة تمنعها من الحركة أو الصراخ.

حتى أنفاسها تتسلل من بين أصابع يد متحللة خروجًا ودخولاً إلى رئتيها، قلبها أوشك على التوقف من الفزع، همسات خلف أذنها تقول: "غادة أنتِ لا تتوهمي أي شيء، كل ما تشعري به الآن حقيقي، أنت مكانك وسطنا كما كان مخطط له".

ثم يظهر من وسط الظلام وجه يدخل في مجال الضوء لشخص متورد جلد وجهه كالأموات حديثًا ذقنه طويلة وعينه سوداء قامته طويل اللحية، تحاول أن تصرخ أو تتحرك ولكنها مكبلة بشدة، يمد يده ويحيط برقبتها في تشفٍ وقبل أن تختنق تفتح "مادلين" الباب ليختفي كل شيء وتصدر غادة سعالاً من كان يختنق للتو.

تهرع مادلين إليها وهي تضيء الأنوار لتلمح على جسدها آثار أصابع ويد كانت تعتصر رقبتها، تضع يدها على فمها وتصرخ بـ"دكتور حازم، دكتور حازم، ألحقنا".

دقائق ودخل حازم مسرعًا ومن خلفه جميع الموجودين في القصر، اقترب حازم من غادة التي ما زالت تسعل وتساءل: "هو في إية؟"، وقبل أن تجيبه مادلين أو غادة لمح آثارًا ليد غليظة على رقبة سلمى، شعر ببعض القلق ولكنه تمالك نفسه وقال: "يلا جهزي نفسك يا غادة عشان هتروحي الساعة ٩ من هنا وترجعي بيتك"، ثم خرج إلى

الرواق ووجد سلمى أمامه فقال لها: "عاوزك يا سلمى حالاً"، لتهرع خلفه كطفلة وجدت ما يشغلها.

مع إفاقة مفاجئة أتت إلى عادل، اعتدل في صمت وهو ينظر إلى الباب الخاص "بدورة المياه"، ويتذكر ما مر به من قبل، بتأهب أنزل قدمه وأمسك بقطعة خشب فصلها من مكان ما بالخزانة واقترب من الباب في خوف، أزاح الباب وابتعد رجوعًا إلى الخلف في حذر، لم يجد شيئًا، أنزل قطعة الخشب وهدأ ثم نظر إلى فراشه وقذف القطعة الخشبية فوقه ليشعر بأن هناك من يقف خلفه، يلتفت في فزع ليجد شخصًا "مغطى الوجه لا يظهر منه سوى اللحية المتدلية سوداء اللون الممزوج ببياض الكهولة"، رجع فزعًا وعلقت قدمه في شيء ليقع أرضًا ومن أمامه هذا الكيان الأسود وقال: "أنت كنت بتدور عليّ صح؟ أنا جيتلك أهو"، يقف عادل في خوف وبسرعة يسحب بها قطعة الخشب ويحاول تسديد ضربة لذلك الكيان فلم يجده، يمسك برأسه في محاولة منه للإبقاء على اتزانه وقدرته العقلية، أنفاسه تزداد سخونة، عقله

يزداد نشاطًا، قلبه ينبض حد التوقف، ثم يرتمي إلى فراشة واضع كفيه أمام وجهه.

بسمة في غرفتها تبكي وهي تتذكر ما فعلته بها من كانت تظن أنها صديقتها "علا"، وكذلك تتذكر حبيبها الذي غدر بها وتشعر بألم نفسي يلح عليها من دون سبب واضح، فتحت خزانتها وأخرجت ملابس جديدة ليوم جديد ليخرج مع الملابس ورقة مطوية بختم يحمل علامة غريبة، جلست على كرسي بالقرب من الخزانة، وفتحت الورقة لتجدها كلمات صعبة المعاني كلمات مكونة من أحرف بلا معنى ليست للغة تعلمها هي، حاولت فك طلاسم تلك الكلمات ولكنها لم تفهم شيئًا ولم يصل إلى عقلها رسالة واضحة، وضعت الورقة جانبًا وأكملت ارتداء ملابسها وعزمت على أن تأخذ الورقة وتعطيها لحازم كي يفهم ما بها.

"صباح الخير"، أفاق علاء على سماع تلك الجملة من أحد ما جالس بجانب فراشه، أفاق بكل هدوء وقال: "صباح النور" ثم بحث بيده كالعادة على

نظارته فأعطاها له من يجلس بجانبه، أمسكها علاء وقال: "شكرًا يا سيدي، بس أنت مين فيهم عادل ولا سليمان أفندي؟"، قالها وهو يرتدي النظارة، وجه نظرة مكان الشخص الجالس فلم يجد أحد، تعجب وهبط من فراشه مسرعًا باتجاه باب الحجرة من أجل الفرار، فتح الباب وهو ينظر خلفه في خوف ليجد شخصًا ضخمًا بملابس سوداء لا ملامح ظاهرة منه سوى ذقن طويلة تتدلى منه يسد الأفق كحائط بني أمام الحجرة، رجع للخلف في فزع وهو يقول: "أنت مين وعاوز مني إيه؟"، وهو يبتلع ريقة ويتصبب عرقًا، لم يأته ردًا بل ظل الرجل الضخم يقترب منه حتى أصبح علاء ملاصقًا لجدار الغرفة، رفع الرجل يده وجذب طرفًا من الستار الأحمر الثقيل وبكل قوة أمسك بعلاء الفاقد للنطق ووضع رأسه في قطعة من الستار لفها جيدًا ورفعه إلى أعلى محاولاً قتله مشنوقًا.

ظل جسد علاء ينتفض وهو يلفظ آخر أنفاسه، وذلك الرجل يقف بشموخ لتسقط ما تحمل الستائر

فجأة محدثة ضجة سمعها حازم بالغرفة المجاورة، دلف حازم إلى الحجرة ليجد علاء يحاول إخراج عنقه من الستار الثقيل وهو يسعل ويرتعش قائلاً: "هموت، هموت، أنت مين؟".

أخرج حازم رأس علاء من تلك القطعة التي تحيط رقبته بقوة فوجد وجهه مصفرًا على وشك أن يموت، نظر علاء إلى حازم قائلاً: "هو مين دة؟ اللي كان عاوز يموتني، أنت شوفته؟"، وهو يصدر سعالاً حادًا، لم يفهم حازم ما يقوله لكنه هدأه وقال له: "لا أنا مشفتش حد، هنتكلم تحت أوم أغسل وشك ومتقلش حاجة لحد!".

وقت الإفطار لم يكن أحد مستعدًا له ولم يكن هناك متسع لوضع شيء إضافي داخل أي منهم من طعام أو أي شيء آخر، غادة تجلس وأمامها حقيبتها استعدادًا للرحيل، بينما علاء في ذهول وعادل غارق بالتفكير، بسمة ترتعش وتفكر هي الأخرى بالرحيل، ولكنها تفكر بمبلغ الشرط الجزائي الباهظ، مادلين تضع يدها على كتف غادة في

محاولة لإرجاعها عن رأيها، حازم يجلس مواجهًا لسليمان وينظر له بحدة محاولاً تفسير عدة أشياء تحدث، عادت سلمى من الدور الأعلى لتقول: "السيارة على وصول وروهان عرف بكل حاجة، وإن شاء الله يا غادة هنستنى منك زيارة في مقر الشركة بعد انتهاء البرنامج العلاجي، هتوحشينا وكنت نتمنى تستني معانا"، تبتسم غادة في إرهاق وتضع رأسها على المسند الخاص بالكرسي التي تجلس فوقه.

وقف حازم بالمنتصف وقال: "إحنا لسه ملتزمين بالبرنامج العلاجي زي ما أحنا متفقين، ده لسه تالت يوم لينا هنا وفي تقدم في بعض ردود الفعل، وتأخر في حاجات تانية، زي أي علاج ليه آثار جانبية، الفطار هيجهز من نفسه ولا إيه؟ يلا نجهز الفطار"، يقوم الجميع على مضض ومعهم غادة مجاملة لهم.

قاربت الساعة على التاسعة ولم تحضر السيارة، وانتهى الجميع من وجبة الإفطار وفي طريقهم إلى

الجلسة المجمعة اليومية، تساءلت غادة عن تأخر السيارة التي ستقلها إلى بيتها، وأخبرتها سلمى بأنها ستجري اتصالاً.

جلس الجميع بوضعهم الدائرة، وبدأ حازم باستكمال البرنامج العلاجي بتلك الطريقة الفعالة وقال: "فاضل معانا مين كده لسه متكلمش"، عادل وغادة بما أنها لسه معانا فهتتكلم ويبقى على الأقل استفادت من الجلسات المجمعة ولا إيه؟ نظر إلى غادة التي تلقت الكلمات بترحاب وقالت: "آه طبعًا حتى عشان ابقى عملت حاجة وزي ما اتعرفت عليكوا تعرفوني"، قال حازم: "خلاص يبقى تبدئي إنتي أوك؟"، قالت غادة: "تمام".

ابتسمت غاة، وقالت: "يمكن مش خايفة إني أحكي عشان ممكن مشفكوش تاني أو ممكن لأني فعلاً محتاجة أتكلم النتيجة واحدة عامة، أنا مشكلتي وباختصار إني بتعرض لكوابيس طوال الوقت الصبح وبالليل صاحية ونايمة لحد لما الدنيا اختلطت عليّ، مبقتش أفرق بين الليل والنهار

والنوم والصحيان، أدوية كتير ومهدئات كتير أخدتها من غير فايدة، دكاترة ومشايخ ومفيش فايدة تشخيصات وتحاليل وأشعة على المخ وبرضه مفيش فايدة، آخر شيخ قالي أنتِ بقيتي زي الفل وخد مني ١٠٠٠ جنيه وبعدها الأمور زادت، وآخر دكتور قالي برضه نفس الكلام خدي العلاج ده وهتبقي زي الفل وحالتي زادت سوءًا، أنا مكنتش كده على فكرة، أنا موضوع الكوابيس ده ابتدا مع موت ماما وبابا في حادثة، بعدها بفترة قصيرة بدأت الأمور تتغير ويحصلي الكلام ده كله، خالتي قالتلي إن ماما كانت بتشوف كوابيس برضه بس مش كده وعمرها ما راحت لدكتور نفسي، ولا غيره وشكلي ورثت الموضوع ده بس ده كلام ميدخلش عقل، أنا أعرف أن واحد يورث دهب أو عمارة أو مرض السكر أو أي مرض عضوي، إنما مرض نفسي محدش فيكم بيتهيألي سمع عن ده، وخصوصًا إن ماما مكانتش مريضة نفسي زيي، عارفين أنا في بعض الأوقات فكرت إني انتحر وأخلص بس الغريب أن الكوابيس

ساعات بتتغير وتبقى زي حد بيحاول ينقذني من تفكيري ده، قال علاء ممكن "تقوليلنا أنتِ بتشوفي إيه؟"، نظر له حازم في تعجب فأكملت غادة: "والله أنا تعبت من السؤال ده بس أنا هقولكم، أطفال وشخص لبسه كله أسود ودقنه طويلة وراجل بركة بسبحة كبيرة، دول أكتر حاجات بتجيلي وأنا صاحية أو نايمة، أما بالنسبة لحلمي فهو يتلخص في شيء واحد إني أنام مستريحة وبس، أستريح".. صفق الجميع وابتسمت غادة وأشارت بخفة ظل أعجبت الجميع.

قال حازم: "تمام، أكيد دلوقتي حاسة إنك أحسن صح"، قالت غادة بعد أن أغمضت عينها: "لا، بس حاسة إني عرفتكوا مأساتي اللي زادت هنا"، صمت حازم ونظر إلى عادل قائلاً: "وأنت يا مناضل قولنا مشكلتك وحلمك إيه؟".

قال عادل بتنهد: "أنا بقى يا جماعة مشكلتي أكبر من مشاكلكم كلها بكتير أوي، يعني باختصار مشكلتكم جنب مشكلتي صفر ع الشمال، أنا مش

مشكلتي حبيب أو فلوس أو كوابيس أو أب حرامي واتسجن أو مخدرات، أنا مشكلتي أني فقدت آدميتي هنا في بلدي وفقدت معاها كرامتي وحلمي ونفسي كمان، أنا باختصار شديد اتنزع مني حقوقي بكل معناها ودون هوادة ولا رحمة، أنا يا سادة اللي شوفته في أيام محدش ممكن يشوفه لو عاش عمرين فوق عمره، مش ممكن تتصوروا أنا آسيت قد إيه جوه سجن ملوش باب وظلمة ملهاش آخر وعذاب ملهوش رحمة، لو يوم واحد جربه حد فيكم مش هيبقى عاوز يعيش تاني ليوم كمان، من غير دخول في تفاصيل أنا مشكلتي نفسية متعلقة بالكرامة أكتر من النفس، وأنا عارف حلها واللي هو حلمي دلوقتي وهدفي من المشاركة في البرنامج العلاجي ده، أنا عاوز أخرج بره أسوار البلد دي بكل سجانها، أنا حاسس إني في سجن كبير بس فيه شوارع وبيوت، أنا عاوز أقلع جسمي وذاكرتي القديمة وألبس جسم وذاكرة جديدة، عاوز أكون شخص جديد بكرامة جديدة وجسم جديد ونفس جديدة وبلد جديدة،

بس".. ابتسم حازم وصفق له الجميع، وقال حازم: "أعتقد إن ده كافي إننا نفهم كل اللي مريت بيه يا عادل، وإن شاء الله هتقدر تخرج من هنا وتكون شخص جديد".. جاء هاتف إلى سلمى فجابت والجميع يترقبها وهي ترد: "تمام، تمام، طب، ماشي خلاص، اتصرفوا وكلموني"، نظر حازم إلى سلمى ليستفسر فتجيبه: "العربية اللي جاية عملت حادثة وهيوفروا واحدة ليكي بكرة يا غادة معلش"، نظرت غادة إلى حازم فقال:"الناس اللي في العربية كويسين؟"،جاء الرد سريعا: "لقوا دم في العربية المقلوبة بس ملقوش جثثهم"، تعجب الجميع ونظروا إلى بعضهم البعض ليقاطعهم حازم: "يلا بريك وبعد كده جلسات فردية، وأنت يا سليمان هتكون أول واحد وأنتِ يا غادة معلش هتشرفينا لحد بكرة".

جلس سليمان مواجهًا لسلمى التي تنظر له في تحدٍ وبجانبها حازم لديه الكثير من الأسئلة وبدأها قائلاً: "سليمان بصراحة كده عشان مضطرش إني أفتش شنطتك ولبسك، أنت لسه بتتعاطى

مخدرات أو أي حاجة كيميائية؟"، تأفف سليمان وقال: "أنا لو كنت عاوز أشرب أو أفضل مدمن مكنتش جيت هنا من أساسه يا دكتور، وبعدين لو عاوز تفتشني فتشني لو ده هيأكدلك".

نظر حازم إلى سلمى كنوع من أنواع الاستشارة، ثم أكمل: "أنا مصدقك يا سليمان بس فسرلي تصرفاتك الغريبة، ودخولك الأوضة الفاضية دي يومين ورا بعض؟" نظر سليمان إلى سلمى وقال: "اسألها، هي كانت بتعمل إيه هناك؟".. قالها مشيرًا إلى سلمى التي ظهر عليها علامات التعجب الشديد وقالت: "أنت تقصد إيه يا أبنى أنتِ؟"، قال حازم مهدئًا الاحتقان بينهما، ومشيرا إلى سلمى كي تهدأ "استني بس يا سلمى، أنت تقصد إيه يا سليمان؟".

وقف سليمان وقال: "الأستاذة الفاضلة كانت إمبارح وأول بتتسحب من وسطنا، وهي بتتلفت حواليها، وبعدين تدخل الأوضة دي وسمعتها إمبارح بتتكلم مع حد صوته غريب كده، بس كنت

لما بدخل لا بلاقيها ولا بلاقي حد، كانت بتستخبي بقى ولا إيه معرفش؟!".

نظر حازم إلى سلمى في تعجب قائلاً: "إيه الكلام اللي بيقوله سليمان ده؟ مش فاهم حاجة؟"، انفعلت سلمى قائلة: "أنت عبيط يا ابني أنت ولا إيه، بتسحب إيه؟ وألف حولين نفسي وأوضة إيه؟ وراجل مين؟ أنت بتألف؟"، ثم نظرت إلى حازم مبررة: "ده بيألف إذا كان أنا اللي جيت وقولتلك إني شوفته مرتين بيخش الأوضة دي زي الحرامية، ويخرج بسرعة ولسه ماسكينه إمبارح سوا وهو مخضوض".

قال حازم محاولاً ضبط انفعاله: "ما هو كده أكيد حد فيكوا أنتوا الاتنين كداب والجزء المشترك الأوضة دي، لازم نفتش ماشي"، نظر إلى ردة فعل تكشف من سيتجاوب مع القرار بشكل لافت فوجد أن الاثنين رد فعلهم طبيعي للغاية فقال: "بكرة الصبح بعد الفطار هندخل نفتشها في النور يلا كله على أوضته".

نظرت سلمى إلى سليمان في تحدٍ وبادلها سليمان نفس الشيء وقال: "أنتي وراكي مصيبة على فكرة، وأنا مراقبك وهتقعي هتقعي".. نظرت له في استحقار قائلة: "أتكلم عدل بدل ما أروحك بكرة على أبوك، ماشي يا كوكو، تشاوو".. رمقها سليمان في غيظ وتنفس بقوة، هو يفكر في تلك الفتاة شديدة الأنوثة شديدة الخطوة في آنٍ واحد، والتي يمكن أن يكون لها يد في كل ما لاحظه هو هنا وكل ما يحدث لغادة وبسمة وكل الموجودين.

"١٣" (اليوم الرابع... الثالثة فجرًا...)

أمام مرآة عظيمة جميلة الشكل الأثري تعود لعقود مضت من الزمان تقف "غادة" بذهول تمشط شعرها بعد حمام دافئ، أحست فيه براحة جسدية، بدأت تدندن ببعض النغمات التي كانت تسردها لها والدتها في صغرها، وهي تمشط لها شعرها، وروت لها أنها كانت تعود إلى جدتها في الأصل، سمعت من يكمل معها النغمة بصوت رجولي، ولسان غريب قائلاً معها: "لليوم أوان وللفرح زمان وللحزن كمان"، تسكت هي لتجد الصوت يكمل هو النغمة ولمحت في المرآة ذلك الشخص الذي حاول قتلها من قبل يمشط شعرها وهو مبتسم، تفزع غادة وتلتفت خلفها فلم تجد شيئًا ولكنها وجدت الفرشاة متعلقة بشعرها ويدها بجانبها ففزعت.

دمعت عيناها وتحركت في كل أماكن الغرفة عالية الجدران، سمعت ضحكة التفت ببطء لتجد ذلك

الوجـه يبتسـم وهـو ظـاهر بـالكامل علـى المـرآة الكبـيرة، تـرجع إلـى الخلـف وتمسـك بـ"طفاية" موضوعة على منضدة بالقرب من الفراش، وبكل قسـوة قـذفتها نحـو الزجـاج فتهشـم وجـه الرجـل وهـدأت نفـس غـادة لثـوانٍ قبـل أن تسـمع صـوت تصفيق من كل مكان داخل الغرفة، نظرت غادة إلى زجاج المرآة لتجده يتجمع من جديد ويعود إلـى مكانه ويكون وجه نفس الرجل، ولكنه تلك المرة يبدو أنه أكبر سنًا وتغيرت معالم وجهه إلى الغضب وفتح عينيه بشكل مخيف، بعد أن تلونت إلى الأسود القاتم وتتطاير الزجاج فجأة في وجه غادة محدثًا ضجة وجروحًا في وجه وجسد غادة، ووسط صراخ وانهيار منها سقطت أرضًا.

سمعت الصوت "مادلين"، وكانت لم تنم بعد هرولت إلـى غرفـة غـادة واقتحمـت الغرفـة لتجـد غـادة مصابة ببعض الجروح الطفيفة في وجهها، وكل ما بـدر منها ولم "يتدارى" خلف الملابس، غـادة فـي حالـة انبـهار وتشتت وأوشكت على الدخول فـي صدمة، وما زالت الفرشاة معلقة بشعرها، أجلستها

على الفراش وخرجت تطرق كل باب الغرف لكي يستيقظ الجميع، وهي تصيح: "غادة اتعورت يا دكتور حازم ألحقنا، إيه الزفت اللي بيحصل ده؟، فوقوا".

لدقائق متتالية حاول الجميع يحلل بطريقة ما تمر به غادة من حالة نفسية قاسية جعلتها تفتعل تلك الأمور لكي تظهر أمامهم من المرضى وستتداوى مع الأيام، وتحصل على الجائزة المصطنعة، وكانت صاحبة تلك الأفكار هي سلمى فقالت مندفعة: "ما تبطلي بقى اللي بتعمليه ده يا ست غادة، لا أنتي عيانة ولا حاجة، كل شوية تصوتي لنا وتقعي من طولك ودلوقتي بتكسري في الحاجة وتعوري نفسك، أنتي بتزودي حالة زمايلك سوء باللي بتعمليه ده وبرضه مش هتاخدي المكافأة لأنك ممثلة فاشلة"، اعتدلت غادة ببطء ونظرت لها في اشمئزاز، وقالت: "إنتى بتقولي إيه، أنتي اللي جبتيها هنا، والبرنامج العلاجي كله في إيدك، وبعدين فلوس إيه ما أنا انسحبت والعربية ماجتش وعملت حادثة متفقة مع الأسفلت،

وبعدين بسمة ومادلين لما كانت معايا"، نظرت إلى الجمع فانفعلت قائلة: "محدش بيرد ليه أنتوا إيه مصدقينها، لو مصدقينها اطلبوا منها تفتح الحديد اللي بره وأنا أخرج أمشي حالاً.. "نظر الجميع إلى سلمى وطالبوها بما تقوله غادة فقالت بارتباك: "هحاول بس في شروط للبرنامج زي ما أنتوا عارفين: "يرد سليمان بعصبية"، شروط شروط وكلام فارغ وكله وأنتي واللي معاكي بيشتغلونا وجايبينا هنا تلعبوا علينا يا بتاعة الأوضة المستخبية ها؟" اشتعل الحديث والأجواء تفاقمت وبدأ الجميع في الصياح لينهي حازم الحديث بكلمة قالها بحزم: "الإزاز ده إزاي طار لقدام مش لوري المراية"، صمت الجميع وبدأوا في ملاحظة أماكن انتشار الزجاج ليجدوه بالفعل منتشر في أماكن أمام المرآة وليس خلفها، رغم أنها ملاصقة للحائط وثقيلة كي تحملها شابة بجسد غادة، نظر حازم إلى غادة وقال:"أنتي شوفتي إيه هنا في القصر ده من ساعة ما جيتي هنا بالظبط"، وجه الجميع نظرهم إلى غادة الممدة على الفراش

مستندة إلى مادلين في إرهاق.

السابعة صباحًا لو لم ينم أحد في تلك الليلة من كثرة التفكير فيما يحدث هنا في القصر، الكل مر بأشياء غريبة ويحاول إبعاد أي أفكار غير منطقية لعقله خوفًا من الحقيقة أو الخرافة، خرج الموجودون واحدًا تلو الآخر حتى اكتمل عددهم، مر حازم من خلالهم وهو يقلب نظره في الحضور واحدًا تلو الآخر وقال: "لسبب أو من غير سبب محتاجين ندخل الأوضة دي هنفتش عن أي حاجة ومن غير كتر أسئلة، ده جزء من البرنامج العلاجي أنا لسه ضايفه إمبارح واللي هيسألني هقوله العمل الجماعي، ماشي؟" لم يصدق أحد كلمة مما قيلت ولكنهم تبعوه للفضول ومعرفة ما يحدث، وبالدخول إلى تلك الغرفة شعر الجميع برهبة وظلمة قفذت في قلوبهم وشعر بها جلودهم، اتجه الجميع منهم من يفتح الستائر الثقيلة التي تحجب الضوء، ومنهم من يفتش في كل شيء، أنها لابد وأن تكون خرائط قديمة وكتبًا تحوي تاريخًا وتلك المكتبة عبارة عن كنز يحوي مئات الكتب النادرة،

الأتربة تملأ المكان والبرودة تأتي من تلك الحوائط، وكأنهم داخل ثلاجة ضخمة، حتى أنفاسهم تخرج على شكل أبخرة عابثة بعقولهم.

مرت ساعات من البحث المتواصل ولم يصل أحد إلى شيء لا هاتف ولا كاميرا ولا أي شيء يدل على وجود أحد فيهم بالقصر حتى تلك المكتبة أفرغوها بالكامل وأعادوا ترتيبها بعد أن فتشوا في كل مكان يمكن أن يكون مدخلاً لباب ما أو لغرفة أخرى، التعب والإرهاق ظهر جليًا على وجوه الجميع، لم يستوعب حازم ما سر تلك الغرفة بالنسبة لسليمان أو سلمى لا يوجد بها شيء على الإطلاق، فما الداعي إلى زيارتها ليلاً في الخفاء من أحدهم، ربما هي خدعة يلعبها أحدهم أو يشترك فيها الطرفان.

لم يكن هناك إفطار في ذلك اليوم، ولم يكن هناك نية لاستكمال البرنامج العلاجي لأي من المشتركين الستة، ولا حتى الدكتور حازم بعدما شعر الجميع بشيء غريب دبرت له الشركة الراعية

بمعرفة سلمى أو بدون معرفتها، جلس الجميع يفكرون، منهم من يفكر بالتحاور مع آخر، ومنهم من يفسر داخل عقله كل ما رآه وكيف يمكن لأحد التلاعب به هكذا بل وبعقله.

بعض مما تعرضوا له لم يكن ماديًا وغير مرئي بالمرة وآخر مادي ملموس كاد يقتل أحدهم، سرعة الاختفاء لذلك الشخص الذي ظهر لمعظمهم في وقت الصباح أو المساء نائمًا أو حتى مستيقظًا ولم يخبر أحدًا حتى تلك اللحظة بما رأى للآخر.

حازم قال: "خلونا نفكر مع بعض ونحط احتمالات لتفسير كل اللي بيحصل هنا، رغم إني أشك في أن حاجة بتحصل من الأساس بس هنفرض وجوده، مين معايا ومين ضدي؟".

لم يتلق ردًا واضحًا وقاطعًا لموقف أحدهم فبدأ بلعب دور من يجتذب الكلام من رحم صدر كل واحد منهم فقال: "عادل إيه رأيك؟".. حرك عادل رأسه يمينًا ويسارًا ثم قال: "مش قادر أحدد لحد دلوقتي إيه الموقف وإيه اللي بيحصل، رغم إني

اتعرضت لحاجة مش فاهمها: "نظر له الجميع ثم انتقل حازم مباشرة إلى مادلين قائلاً: "وأنتي يا مادلين حصلك حاجة أنتي كمان؟".

سكتت مادلين لبرهة ثم قالت: "مش بالظبط بس حسيت بحاجة مكانتش طبيعية، يمكن شعور بس مش أكتر لكن في حاجات جواية بتأكدلي أن في حاجة غلط هنا في المكان ده!".. أصدر حازم همهمة ثم قال: "وأنتي يا بسمة أكيد طبعًا شوفتي؟"، قالت بسمة بتردد: "أنا.. أنا شوفت بس مش ممكن يكون حد بيحاول يلعب بينا أبدًا، مكنش حد، لا"، لم يكن كلام بسمة محدثًا فرقًا لحازم فتوجه بسؤاله إلى علاء قائلاً: "وأنت يا علاء إيه شوفت حاجة أو حسيت بحاجة أنت كمان؟".

اعتدل علاء وقال بارتباك، "أكتر من مرة بس مش متأكد حلم ولا حقيقة!"، ثم حرك ساعديه على كتفيه محاول تدفئة نفسه وقال: "المكان ده مش طبيعي يا جماعة بارد زيادة عن اللزوم، وكمان

تحسوه كده ميت".. حازم بدأ في الشعور أنها حالة وأكمل موجها كلامه إلى سليمان الصامت قائلاً: "وأنت يا سليمان باشا إيه رأيك؟".

قال سليمان بعقلانية: "أنا أعتقد إن اللي ورا الكلام ده كله الأستاذة سلمى وشركتها وتلاقيهم حاطين كاميرا هنا ولا هنا وزمانهم عملوا برنامج تليفزيوني تحفة بيتذاع دلوقتي وأبطاله هما الضحية".. انفعلت سلمى وقالت: "أسكت خالص أنت إيه بتهم مين أصلاً؟ فيلم إيه واتفاق إيه؟" بتلك الكلمات فتح سليمان النار في وجه سلمى التي أصبحت مكروهة الآن من الجميع بسبب صلتها الرئيسية بالشركة.

قال حازم إلى سلمى: "ممكن تهدي شوية وتقوليلنا تفسير للي بيحصل هنا؟ أنتي الوحيدة اللي كنتي هنا قبل كده وأنتي اللي حضرتي وظبطي كل حاجة"، قالت سلمى في محاولة للدفاع: "أنا أول مرة آجي هنا كان معاكوا وأنا أهو محصليش حاجة يعني زيكم من ساعة لما جيت، يا حازم دول

مرضى، أنت مش شايفهم؟".

قال حازم بهدوء: "كل واحد منا مريض نفسي حتى لو بجزء بسيط منه ووارد أوي يكون مديرك روهان ده مريض أو حد من مسؤولي الشركة أو وارد أوي تكوني أنتي يا سلمى ودبرتوا لكل ده سوا"، قالت سلمى: "أنت كمان يا حازم، ارحموني بقى حرام عليكوا أنا واحدة تعبت أوي عقبال ما أوصل للمكان اللي أنا فيه ولا أنتوا فاكريني معنديش مشاكل وأنتوا بس اللي عندكم مشاكل؟".

قال سليمان بهجوم: "ممثلة فاشلة، كفاية تمثيل بقى، بالذمة حد فيكم مصدق الفاشلة دي؟"، ثم أخذ يشاور عليهم واحدًا تلو الآخر"عادل، مادلين، بسمة، علاء، حازم"، قاطعته غادة قائلة: "أنا مصدقاها، اللي بيحصل هنا مش حد من عند سلمى هو السبب فيه، في حاجة تانية أقوى من كده هي السبب أنا حاسة بوجوده أوي"، اعترض الجميع على الكلام، فارتفع صوت غادة قائلة: "كل واحد فيكم حصله هنا حاجة وخايف يحكي، لو أنا

غلط قولوا شوفتوا إيه؟ وهتلاقوا إن كل واحد فيكم شاف نفس اللي شافوا التاني بشكل مختلف وموقف مختلف"، ثم نظرت إلى حازم وقالت: "أسألهم وأنت تعرف يا حازم".

ينظر رجل من خلال مكان لا يراه أعضاء البرنامج العلاجي من خلاله، رجل ضخم الجسد بملابس سوداء، يغطي معظم أجزاء وجهه سوى ذقن طويلة سوداء منقحة بشعيرات بيضاء، اقترب منه جسد أعظم منه لا يظهر منه شيء هو خيال ضخم فقط وقال: "الوقت قرب ولازم تكون جاهز وتنفذ"، التفت الرجل إلى الخيال وأشار إيماءً بالموافقة برأسه.

"١٤" (اليوم الخامس... الثالثة فجرًا..)

لم يصعد أحد إلى غرفته تلك الليلة، بل فضل الجميع أن يقتسموا الساحة الرئيسية للقصر، وأن ينام الرجال بمكان معزول عن السيدات ووضعوا بينهم حاجزًا من الكراسي وغطوها بقماش ليمنع الرؤية، ولكن يظل التواصل موجود سمعيًا، غط الجميع في سبات عميق من النوم مطمئنين بقربهم من بعضهم البعض، صوت تصفيق يدوي في كل مكان عبر مكتب الصوت، فزع الجميع وأفاقوا وهم ينظرون إلى بعضهم البعض.

قال حازم: "السيستم الخاص بالمكان كله في أوضتي، يلا تعالوا معايا"، وأشار إلى عادل وعلاء اللذين تبعوه إلى أعلى كي يتفقدوا ذلك الفعل الغريب المفزع، لاحظت سلمى عدم وجود سليمان الذي ظهر فجأة من خلفهم قائلاً: "إيه الصوت ده، في إيه؟".. نظرت له سلمى وقالت: "أنت كنت فين

يا سليمان؟"، رد سليمان بثقة: "كنت في الحمام خوفت أطلع فوق لوحدي فدخلت اللي هنا وسمعت الصوت ده فخرجت بسرعة"، ثم أشار بيده إلى مكان "دورة المياه" الخاصة بالاستقبال، في وسط النقاش عاد حازم ومعه عادل وعلاء ليجدوا سليمان يجادل سلمى كالعادة، فصل بينهما حازم وقال: "ملقيناش حاجة فوق ولو كان حد فوق يا سلمى كنا قابلنا أكيد سليمان كان في الحمام زي ما قالك، ممكن ننام شوية عشان بكرة هنمشي كلنا"، ثم نظر إلى سلمى وقال: "أظن الوضع هنا بقى سيئ واسمحيلي أقولك إن البرنامج العلاجي فشل ومحتاجين نلغيه، الصبح هتكلمي شركتك تخرجنا من هنا أوك"، أشارت سلمى برأسها في أسف قائلة: "أوك، أوك".

في تمام السابعة صباحًا حازم في حيرة وارتباك لم يظهر عليه من قبل قال وهو يتحرك بطريقة مضطربة: "أنا مستعد اسمع اللي حصل لكل واحد فيكم، وبناء على اللي هيتقال ولحد لما الشركة ترد على سلمى ويفتحوا الحديد اللي بره ده هنحاول

نحل الموضوع بشكل منطقي وعلمي، اتفضلوا أنا مستني أسمع مين اللي حابب يبدأ؟".

قالت بسمة: "أنا هبدأ يا دكتور حازم، أنا حاسة إن في حد هنا بيحاول يستحوذ عليّ، حاسة إنه بيهاجمني في كل مكان، مش بشكل مباشر أو مادي، لا بحس بوجوده في نومي في أحلامي، بتلفت حواليه وأنا بغير هدومي، أنا متأكدة أن في حد موجود معانا هنا في القصر غيرنا، بس مش حد عادي لا، أنا يمكن مشفتوش كتير بس أنا اليوم اللي شوفته فيه كان شكله غريب مش طبيعي"، قال حازم وهو يدون الملاحظات: "غريب إزاي يعني يا بسمة؟"، أكملت بسمة وهي تتذكر"كأنه حد من مكان تاني، لبسه غريب وشكله غريب وطريقة كلامه غريبة، كان شخصًا ضخمًا ولابس أسود ومش باين منه غير دقنه الطويلة، صوته ضخم وحركته بطيئة، أنا مش عارفة هو مين؟، بس أنا متأكدة أنه سبب كل المشاكل".

جلس حازم بهدوء محاولاً السيطرة على أعصابه

التي أوشكت على الانفلات، وهو لم يظهر بتلك الطريقة العصبية من قبل وقال: "يعني هو عبارة عن شخص ضخم لابس اسود ودقنه طويلة وبس كده، ماشي، مين تاني، بس بتوضيح اكتر؟".

رفعت مادلين يدها على استحياء كأنها مترددة في البوح بما تشعر به وما رأته، ينظر لها حازم ويقول: "اتفضلي يا مادلين، أنتي شوفتي إيه؟".

تنظر مادلين بارتباك وتردد إلى حازم وتقول: "انا بحس أكتر ما بشوف، أنا سمعت صوت من الحيطة بتاعة الأوضة اللي جنبي ومتأكدة من ده كويس، حسيت إن الصوت ده مش مألوف عليّ ولا هو صوت أي حد فيكم، قلت يمكن حد مشغل أي جهاز أو راديو، بس الصوت ماكنش واضح، خرجت وقلت أشوف إيه اللي بيحصل في الأوضة دي ومين اللي فيها، لما بقيت قدامها عرفت إنها مش بتاعة حد، دخلت لقيت الأوضة ضلمة وباردة أوي، دورت بخوف على حاجة تكون مصدر الصوت وملقتش، حسيت بخوف أول مرة أحسه بجد في

حياتي، خوف من حاجة مجهولة، أنا مبصدقش في الخرافات، بس ده كان خوف خرافي بجد"، قاطعها حازم وقال: "دي أنهي أوضة؟"، وصفت له مادلين الغرفة ليتغير وجه حازم وسليمان ومعهما سلمى، إنها تلك الغرفة وأكدت مادلين، حيث قالت: "هي نفس الغرفة اللي كلنا دخلنا وفتشنا فيها لو فاكرين، ثم أكملت: "أنا مشفتش حاجة غير كده ده باستثناء الموقف الخاص بغادة لما اختفت فجأة ولقيتها خارجة من أوضة مقفلوة"، سكت الجميع يفكرون في تلك الأحاسيس وتلك المواقف الغريبة، هناك حلقة مفقودة تربط جميع الأشياء سويًا.

قال حازم في نفاد صبر: "يعني محدش فيكم شاف تفاصيل واضحة أو تعرض للكيان ده بشكل مباشر غير غادة صح؟"، وقف علاء مباغتًا لحازم وقال: "أنا شوفت واتعرضت لأكتر من كده بكتير وعلى مدار ٣ أيام وآخرهم كنت هموت مشنوق وأأنت اللي لحقتني يا دكتور حازم، أنا كنت متفق معاك إني مش هقول بس مينفعش نخبي حاجة

دلوقتي، لأن واضح أن في مشكلة حقيقية الكل بيم ربيها هنا "نظر له حازم معاتبًا خوفًا من تفاقم الأمـور وأن تزداد تعقيـدًا ولكنـه قـال: "اتفضـل يا علاء".

قال علاء: "أنا نظري ضعيف ومبشفش تقريبًا من غير النضارة بس ده ميخلنيش أعمى يعني ممكن أبقى قادر أحدد في حد معايا في الأوضة ولا لا حتـى لـو مش لابس النضارة وكمان فوق كل ده أكيد بحس زيكم، وأنا تجربتي كانت مختلقة لأني يـا شباب اتعرضـت للقتـل لـولا سـتر ربنـا ووزني التقيل وده اللي هتعرفوه، أول يوم كانت عبارة عن أحلام بتتعاد وكنت بضحك على نفسي في آخرها، بصحي من نومي وبدور على نضارتي مش بلاقيها، بتـوقع أنـها وقعـت فـي الأرض وبـنزل لحد تحت السرير وألاقيها وبعد كده بشوف أشخاص غريبة مش عرف هما ميتين ولا صاحين، وبعد كده بفوق وبتأكد إني كنت في حلم لحد آخر مرة وظهرلي نفس الشخص اللي اتكلمتوا عنه ده، هو اللي أنا شوفته ضخم ولابس أسود وأنا شوفت تفاصيل

تانية زي جزمة سودة استايلها قديم حبتين، وكان في طفلة صغيرة". نظرت غادة بفزع إلى علاء ولاحظها حازم وقد أكمل علاء: "هو أتكلم معايا وحاول إنه يموتني مشنوق في آخر مرة، لف رقبتي بقماش الستارة ولولا إن جسمي تقيل كنت موت، الستارة وقعت بيّ ودخل حازم لحقني وأنا بفرفر، وده أكيد مش طبيعي خالص ومعتقدش إن في حد فيكم واجه الكيان ده بالشكل ده قبل كده".

قال عادل مقاطعًا: "لا أنا واجهته يا علاء، أنا كمان شوفته وواجهته يا جماعة". نظر الجميع بخوف ملم بكل حواسهم وتفاجأ حازم من كلام عادل الذي لم يتلفظ به من قبل ونظرت غادة إلى عادل وأنصتت بحرص وهي مغمضة العينين، أكمل عادل: "أنا بقى مكنتش بحلم وأنا شوفته مرتين وواجهته لأني متعودتش أهرب وبعدين مريت بكتير عشان أخاف من حد بعد كده حتى لو كان إيه، مبقاش فارق، منكرش إني مش بس خوفت لا ده أنا اتفزعت وأي حد كان مكاني كان هيتفزع، يعني لما تفتح باب الحمام بعشم زيادة وتلاقي حد

قاعد بالمنظر اللي وصفتوه ده قاعد على الأرض وفي الحمام، وكمان بيتهز أعتقد إن أي حد ممكن يصوت أو يجري أو حتى يتجمد من الخوف، أنا قفلت الباب وهربت في أول مرة بس رجعت تاني لما حسبتها وقلت أواجهه دخلت تاني ملقتش حد، وفي اليوم اللي بعده اتعرض ليّ بشكل أكتر واتكلم معايا وحب إنه يواجهني، وأنا كنت مستعد ليه وكنت محضر اللي أدافع بيه عن نفسي وقبل ما يبقى في اشتباك اختفى خالص، ومن ساعتها مشفتوش ويمكن كنت صاحي بس أكيد في تفسير لحاجة زي دي؟".

سند حازم ذقنه على قبضة يده وهو يفكر ثم قال: "دي تطورات مكنتش أتوقعها أو حد يتوقعها، طب وأنت يا سليمان شوفت حاجة أو اتعرضت للشخص ده أنت كمان؟"، قالها وهو ينظر إلى سليمان الذي كان شاردًا ورجع مع نطق اسمه وقال: "أنا مشفتش الشخص ده وماحستش بيه كمان ولا اتعرضتله!".. ظهرت معالم الارتياح على وجه حازم الذي خاب ظنه سريعًا، "بس أنا حصلي

مواقف وسمعت أصوات، أنا في نفس الوقت من كل يوم وأنا باخد دش حد يخبط عليّ باستمرار، رغم إني بكون قافل باب الأوضة، في الأول افتكرت الموضوع مقلب لأني بعد لما خرجت ملقتش حد فخرجت من الأوضة ولمحت حد كان بيحاول يداري بس مكنش ينفع أخرج وراه لأني كنت مش لابس هدومي، لحد لما العيار تقل حبتين والخبط بقى رزع، والخوف بدأت أحس بيه لما كنت ورا الباب، وأول ما الخبط زاد فتحت الباب بسرعة ملقتش حد بس حسيت ببرد، أنا يمكن أكون مشفتوش بس أنا متأكد إن في حاجة مش طبيعية لا في البيت ده ولا في الأوضة اللي فوق دي بالذات، أنا دخلتها لوحدي أكتر من مرة ومتأكد إن فيها حاجة مش طبيعية، سقعة وضلمة وخوف دفين كده في قلب الواحد".. أنهى سليمان كلماته تاركًا الجميع في ذهول وخوف وتساءلت سلمى بسخرية: "يعني لو كلكم شوفتوا شخص واحد وبتتعرضوا لمواقف، أنا وحازم ليه مشفناش حاجة ولا اتعرضنا لحاجة من دي، نقطة مهمة دي ولا

إيـه؟".. ثـم رفعـت كتفيها في محاولة منها لدحر فكـرهم المجحـف، وقـف سـليمان مهاجمًا كعادته لسلمى وقال: "هو في حد بيرتب لكل حاجة ممكن يحصله حاجة".. قبل أن تندلع الحرب من جديد فصـل بينـهما حـازم قـائلاً: "وأنتـي يا غـادة عـاوزة تحكيلنا إيه اللي أنتي شوفتيه ولا لأ؟".

نظرت غادة إلى حازم في خوف وقالت: "أنا مريت بكل ده فـي كل يـوم وكل ساعة وكل ثانيـة، أنا بشوفه من قبل ما آجي هنا ومش قادرة أربط أي حاجة ببعض، أنا إيه اللي جابني هنا من الأساس، أنا حاسة إني في سجن وعاوزة أخرج منه، لحد دلوقتي بشوف الراجل اللي كلكم شفتوه وبشوف البنت اللي قلت عليها يا علاء واتعرضت للموت زيـك برضـه ومـادلين لحقتنـي، الحاجـة اللـي مستغرباها إنكم مكنتوش بتشوفوا حاجة قبل لما تيجوا هنا وأنا كنت بشوفها ودلوقتي كلنا بنشوفها ليه؟".

قالت سلمى في قسوة: "ده كلام فارغ من واحدة

مجنونة وخلت كل اللي حواليها مجانين زيها، أنتي لازم تمشـي من هنا لتبوظـي البرنـامج العلاجـي!"، قالتها وهي تصعد السلالم باتجاه غرفتها ويرمقها الجميع بتقزز.

"١٥" (اليوم السادس... الساعة الثالثة فجرًا..)

عدة شموع كانت كفيلة بأن تضيء غرفة بكاملها مع إضفاء جمال فني قد مضى عليه أكثر من قرنين من الزمن، ومع آخر إشعال لشمعة توجهت "سلمى" وأغلقت غرفتها بإحكام، اتجهت إلى الخزانة وأخرجت ثوبًا جديدًا راقيًا ككل ثيابها واتجهت به إلى "دورة المياه" الفاخرة ذات النقوش الفنية والمرايات قديمة الطراز وكل شيء به تمثل تحفة فنية لا تضاهي بثمن تلك الأيام، فتحت مياه "الشاور" حديث الطراز ليواكب العصر الحديث ويلبي طلبات المجموعة، كما هو المتفق عليه ولكنه يبقى كل شيء كما هو داخل المكان.

تنسدل المياه الدافئة على جسد سلمى بهدوء وتروي وهي تستمتع بكل قطرة تعبر عن امتنانها لملامسة بشرتها الناعمة، أغمضت سلمى عينيها في شعور استجمام وراحة لم تلقاها هنا من قبل داخل

جدران ذلك القصر الأشبه بسجن.

بمرور الوقت بدأت قطرات الماء تتشكل على وجه شخص اقترب بشدة من وجه سلمى الجميل مغمضة العينين، وجه متكون من عدة قطرات ماء ملازم لوجهها، سمعت سلمى صوت أحدهم يضحك ولكنه بعيد، ثم بدأ بالاقتراب حتى أصبح أمامها، شعور الخوف يتملكها ولا تقدر على فتح عينيها ولكنها فعلت لتجد ذلك الوجه ملاصقًا لوجهها وصرخ فجأة، ارتعدت وخرجت من "دورة المياه" تهرول وقعت أرضًا لكنها أكملت إلى الرواق خارج غرفتها تصرخ وهي في حالة صدمة مما رأته بالداخل، خرج الجميع في ذعر ينظرون بتعجب إلى سلمى التي تقف عارية تصرخ، تسرع غادة باتجاهها وهي تداريها وتأخذها إلى غرفتها بعيدًا عن أعين الرجال.

سلمى في حالة ارتباك وهذيان وبجانبها غادة تحاول تهدئتها وهي تحتضنها ويقف بقية الموجودين بالقرب منهما داخل عرفة سلمى، حازم

يـدخل إلـى الغرفـة ومعـه حقنـة مـهدئة، وبعد أن انتـهى مـن إعطائـها الحقنـة هـدأت سلمى وبـدأت تشـعر بالتحسـن، اقتـرب منها حـازم وجلس على كرسي بالقرب منها وقال: "إيه اللي حصل يا سلمى لكـل ده عشـان تصـرخي وتخـرجي بالشكل ده؟"..

نظرت له سلمى وهي تذرف الدموع ببطء وقالت: "أنا كنت داخلة أوضتي قرفانة أوي وتعبانة نفسيًا من كل اللي بتقولوه، وكمان البرنامج ده هو اللي هيحدد مستقبلي مع الشركة دي زي ما أنت عارف أنا تعبت أوي لحد لما أخد الفرصة دي، حبيت إني أخـرج بره المود، ضلمت الأوضة وولعت شموع، الجـو بـيخليني أحـس باسـترخاء كبـير، دخلـت الحمام وجهزت نفسي لحمام منعش أخرج بيه بره المـود الزفـت ده، كنـت فـي الحمام والشعور كان جميلاً بـدأت اسـتجم وبعـد كـده حسـيت ببرودة شديدة، وأنا متأكدة إني كنت قافلة كل الشبابيك وباب الحمام، سمعت خطوات على أرض الحمام وسمعت أنفاس قربت أوي من وشي، قلبي اتفتت مـن الخـوف ومكنتـش قـادرة أفتـح عـيني عشـان

مشوفش حاجة ممكن أموت لو شوفتها، وخصوصًا إني حاسة بحاجة غريبة في المكان ده بس كنت بداري وأكدب نفسي لأني بفكر بطريقة مادية، مستحملتش إني أكون واقفة عريانة قدام حاجة معرفش ممكن تعمل إيه فيّ، فتحت عيني، شوفت وش، هو نفس الشخص اللي بتتكلموا عنه كلكم كان متشكل في الميه صرخت وجريت اتزحلقت ووقعت بس أومت تاني ولقيت نفسي بخرج من الأوضة وبصرخ لحد لما دريت بنفسي قدامكم وغادة لحقتني وغطتني، شكرًا يا غادة!".. نظرت إلى غادة بابتسامة الشكر.

مسح حازم على شعره وتحرك بذعر وهو يحاول استيعاب الأمر، فهو لا يؤمن بالخرافات ولكنه يؤمن بالعمل ولا شيء سوى العلم، ولابد أن هناك شيئًا أو سببًا علميًا يفسر كل ذلك، قال حازم: "كلكم باتوا هنا النهارده مع بعض لحد الصبح ويا سلمى لما تبقى كويسة كلمي مدير شركتك ده وخلينا نمشي من هنا، البرنامج فشل!".. ثم تركهم وخرج بعد أن أغلق الغرفة خلفه.

جلس حازم في غرفته يراجع بعض الكتب والمراجع التي أتى بها وينظر ويبحث داخلها عن أعراض مشابهة لتلك الحالة العامة، غلبه النعاس مرة ولكنه قاوم، اتجه إلى المطبخ الخاص بالمكان ليعد شيئًا يساعده على السهر واستكمال بحثه، حاول إضاءة أنوار المطبخ ولكنه لم يستجب، أخرج قداحة ومر بها وسط الظلام المخيم على المكان، أشعل "البوتاجاز" ووضع فوقه ما أعده للقهوة، سمع صوت تراطم الأواني المعدنية التفت سريعًا فلم يجد شيئًا، ولكنه شعر بوجود أحد معه، انتهى من إعداد قهوته وخرج عائدًا إلى غرفته ليستكمل ما يبحث عنه.

خرج سليمان ليلاً من غرفة سلمى كي يشرب "سيجارة" بحث كثيرًا داخل عقله عما يخيفه من هذا المكان وعن سر ذلك الرجل الذي لم يقابله، ولكنه يشعر به دائمًا، داعب أنفه تلك الرائحة العطرة التي امتلكها في أول يوم له في ذلك المكان، نعم إنها تحيط بالمكان الآن، سمع خطوات

خلفه فاستدار ليلمح صاحبة الفستان الأبيض تهبط إلى الساحة الرئيسية أسفل السلالم، شعر بلذة تتبعها وانطلق خلفها بدون تفكير، لا وجود لها، ولكن رائحة عطرها في كل مكان، بحث سليمان عنها في عصبية وهو يقول: "أنتي روحتي فين؟ روحتي فين؟".. سمع بالقرب من البيانو الضخم العملاق صوت نقاش حاد بين رجل غليظ الصوت وامرأة جميلة الصوت، بفضوله سيئ السمعة اقترب من مصدر الصوت ليفاجأ بذلك الشخص الضخم الذي يراه الجميع وهو يصفع تلك الفاتنة التي لم ير جمالاً مثيلاً لجمالها وهي تبكي، ازداد غضبًا وشب به حريق داخلي يأكل مشاعره الفياضة تجاه الفتاة التي لا يعلمها، اتجه ليهاجم ذلك الرجل الضخم الذي سرعان ما تبخر هو وتلك الفاتنة معه، أفاق سليمان لوهلة وهو يتلفت حوله وقد سمع وقع أقدام تعدو نحوه، التفت حول نفسه عدة مرات يقول: "أنت مين؟ في إيه؟ إيه اللي بيحصل هنا؟".. ليسمع صوتًا يأتي من أعلى السلالم يقول: "أنت بتعمل إيه هنا تحت؟".. نظر إلى أعلى

ليجد حازم يشير إليه في هدوء وقال: "اطلع يلا عشان الوقت متأخر أنا قلت محدش يبعد عن البقية، يلا يا سليمان"، مسح سليمان عرقه وهو يصعد سلمه تلو الأخرى، ومازال عبق العطر معلقًا بأنفه.

السابعة صباحًا يستيقظ الجميع على صوت طرقات متتالية على باب الغرفة تفزع سلمى ومن حولها، يقف عادل ويسأل: "مين اللي بيخبط؟"، يأتي الرد سريعًا: "أنا حازم يلا يا شباب عشان عاوزين نحضر نفسنا قبل الأتوبيس ما ييجي".. يرد عادل بعد فتح الباب: "حاضر"، ثم يرفع صوته: "يلا يا جماعة النهار طلع وكل واحد يجهز حاجته" يفيق الجميع على مضض وكل منهم يتوجه إلى غرفته كي يجمع ملابسه وحقائبه.

دخلت بسمة إلى غرفتها وتركت بابها مفتوحًا وأحضرت حقيبتها وأفرغت محتوى الخزانة، سقط بعض الأوراق مثل الورقة التي وجدتها من قبل، كلمات غريبة تحوي أحرفًا غير مفهومة تعود

لأوقات قديمة وطريقة كتابة قديمة، انحنت وأخذت تجمع الأوراق سويًا وأخرجت تلك الورقة التي وجدتها في يوم سابق وضمتها سويًا، وخرجت إلى حازم كي تخبره بما وجدته لعله يكون مفيدًا في تفسير أي شيء مما يحدث هنا.

تجمع المشاركون كلهم في وسط الساحة، تاركين حقائبهم متراصة مثلما كانت متراصة في أول يوم حضروا فيه إلى هذا القصر، هبطت سلمى وهي تتأفف من عدم وجود شبكة في هاتفها الخلوي كي تستطيع الاتصال بأحد من الشركة كي يخرجهم من هنا، نظر لها حازم في استفسار وقال: "إيه الأخبار يا سلمى؟".. ردت سلمى وهي تحاول إعادة المحاولة: "الشبكة واقعة هنا مع أنها كانت شغالة أول لما جينا هنا والكام يوم اللي فاتوا ولما بتجمع التليفونات بتكون مقفولة حتى صاحب الشركة كمان"، نظر لها حزم وقال: "أفضلي حاولي".

اقتربت غادة من حازم وأعطته مجموعة من الأوراق القديمة، أمسكها وقبل أن يسأل لفت

انتباهه تلك اللغة وطريقة كتابتها.. كلمات غريبة وأحـرف ليسـت إنجليزية أو فرنسية فهو يعرفها ولكـن عليـها ختـم قـديم، بعـد أن تفحصهم قـال لبسمة: "إيه دول؟ وجبتيهم منين؟"، قالت بسمة: "مش عارفة هم عبارة عن إيه بس أنا لقيتهم في الدولاب وسط هدومي في حد حطهم عندي ولما لقـيت الموضـوع زاد جمعتهم كلهم، مع إنـي كنت متأكدة إن دولابي فاضي مفيهوش أي ورق، وأنا برص حاجتي على الرفوف".

رفع حازم من صوته ورفع الأوراق عاليًا وهو يقول: "حـد يعـرف يقـرا المكـتوب هنـا يا شباب؟"، انتبه الجميع لتلك الأوراق القديمة وتجمعوا حول حازم وأقبلـت سـلمى، وعنـدما نظـرت وجـدتها كلمـات تركية قديمة فقالت: "أنا أعرف أقراها، أنا عشت فترة مش قليلة في تركيا، بس الكلمات دي قديمة كتير".

جلسـت سـلمى ومـن حولـها كـل المـوجودين فـي فضول، بينما هي ترتب الورق وأخذت تقرأه باللغة

التركية التي لم يفهمها أحد حتى انتهت وقالت: "ده عبارة عن فرمان من الباب العالي اللي هو السلطان العثماني زمان بيقول فيه إن "رستم والي"، وأعطاه لقب الباشوية، سيتولى حكم تلك المنطقة الزراعية وسيكون مسؤولاً عن جمع الضرائب من الفلاحين وإرسالها إلى والي مصر كمساعد له في تلك المنطقة الخصبة من مصر، وسيتملك تلك الأرض كأحد أتباع الباب العالي شخصيًا وزوجًا لابنة أخت السلطان العثماني وقتها، ويبارك أيضًا له في مولوده الجديد "تومادر".. ثم سكتت لتقول: "ده كان عبارة عن جواب من السلطان لرستم باشا شخصيًا زي ترقية ليه وكمان ملكه الأرض الزراعية اللي مبنى عليها القصر ده".. أصدر علاء ضحكة قائلاً: "ده إحنا في صحرا إيه الكلام الفارغ ده؟" قالت مادلين: "أكيد من زمن طويل كانت الصحرا دي أرض زراعية يا علاء".. نظر لها في موافقة الرأي.

وقف حازم محللاً لما هو مكتوب: "يعني صاحب القصر ده حد اسمه رستم والي من أيام الحكم

العثماني لمصر صح؟ وكان عنده بنت اسمها تومادر صح؟ وكمان كان متجوز بنت أخت السلطان العثماني يعني كان حد تقيل".

ربط الجميع تلك الصور المرسومة، التي كانت مبهمة بما هو مكتوب وتبينوا أن صاحب تلك الصورة العملاقة في واجهة ساحة القصر هو رستم باشا، ويبدو أنه كان أنيقًا في ملبسه.

أخذ حازم الأوراق ووضعها في حقيبته وقال: "الورق ده مهم جدًا ولازم يتسلم لوزارة الثقافة عندنا لأنه بيؤرخ جزء تاريخي في المنطقة دي ومين صاحب القصر وإن المكان ده كان زراعي، أهو يبقى جينا هنا ومشينا بفايدة حتى لو للبلد".

نظر له عادل وقال: "ويعني هي البلد مستنية الورق ده في إيه، ما هي بتاخد أي حاجة وضع يد زي ما أنتو عارفين!".

في تلك الأثناء يرن هاتف سلمى فتجيب لتجد أن الصوت غير واضح بالمرة وغير مسموع، وتظل

تقول: "مش سمعاك أنت بتقول إيه؟ طب لو أنت سامعني اتصل بيّ تاني"، لتقطع المكالمة وتحاول سلمى الاتصال من جديد دون فائدة فقد فقدت الشبكة مرة أخرى وهم محبوسين هنا حتى تأتى النجدة الخارجية.

قضى الجميع تلك الليلة في محاولة وجود مخرج من القصر غير مغلق، فوجدوا أن كل المخارج مغلقة بأبواب من حديد وبإحكام حتى كل الشبابيك في الأدوار العلوية وفي كل الغرف والمطبخ ودورات المياه بها حديد لا يستطيع أحد أن يعبر خلاله.

غضب عادل واتجه ناحية باب القصر وفتحه وظل يركل ذلك الجزء الحديدي الضخم الذي يغلق المخرج من دون فائدة، حاول جرة يمينًا أو يسارًا وهو لا يتزحزح من مكانه، إنه موصد بإحكام تاركهم هنا بالداخل من غير أمل في الخروج إلا بمساعدة من هم بالخارج وتحت رحمتهم فقال: "سجن تاني، سجن تاني، أنا مش هتسجن تاني،

مش هتسجن تاني" وتعالى صياحه ليقترب منه حازم قائلاً: "لا إحنا مش في سجن وهنخرج بس يردوا علينا، سلمى بتحاول معاهم من الأدوار اللي فوق وإن شاء الله هيردوا علينا، اهدى بس!".. ثم سحبه برفق وأغلق باب القصر.

"١٦" (اليوم السابع.... الثالثة فجرًا...)

تتحرك غادة بخطوات متحفزة مارة برواق ضخم نحو صوت قادم من غرفة ما، قد تم تفتيشها قبل ذلك ولم يجدوا داخلها شيئًا يذكر، تدفع بابًا عملاقًا لتصير داخل حجرة عالية الجدران كثيرة التحف والزخارف الفنية الجميلة، ستائر منسدلة ومتقاربة تغطي نوافذ عملاقة يتسلل من بينها ضوء غروب الشمس المودع، هناك رجل ضخم الجسد وسط الغرفة غليظ الصوت أبيض البشرة كثيف اللحية صفراء اللون ملابسه تخص باشوات عصور الثمانينيات، يداعب طفلة يبدو عليها الخوف والفزع، متوهم سعادته وسعادتها يخاطبها بلهجة تركية قديمة: "أنتي جميلة، قرة عين الباشا، صغيرة شبه باشا تمام".

تبتعد الطفلة صاحبة السبع سنوات في خوف منه وهي تدمع العينين وتقول: "أنا عاوزة أمي، عاوزة

أبوية، إحنا لعبنا خلاص كفاية، رجعني ليهم الليل قرب".. يقترب منها الرجل العجوز مادًا يده ويقول: "قرب لباشا يا صغيرة، نلعب بعرايس وبفساتين هانم، قرب "تومادر" ابنة باشا".

تبتعد الطفلة أكثر ملاصقة ظهرها لحائط يحمل ستائر حمراء فاخرة وهي تقول باكية: "أنا مش بنتك تومادر، أنا عاوزة أمي، رجعني هناك"، وتكمل بكاء لتتغير نظرة الرجل ويستشيط غضبًا ويقترب من الفتاة وهو يبكي ويقول: "أخدوها تومادر من باشا ليه، هي بكرة تكبر، تبقى هانم".

تصرخ الفتاة بشدة وينقطع صراخها سريعًا.. تصرخ غادة وتفوق مفزوعة وهي تصيح وتبكي بكلمة: "تومادور، تومادور".. لتجد رجلاً قد رأته من قبل يقف بجانب فراشها يبتسم .. رجل يرتدي جلبابًا أبيض ناصعًا وبشرته بيضاء محاطة بذقن أنيقة مهذبة.. هدأت نسبيًا وسألته: "أنت مين؟ وجيت هنا إزاي؟ وإيه اللي بيحصلي؟ وإيه اللي بيحصل هنا؟".

ابتسم قليلاً لتظهر أسنانه البيضاء وقال: "أنا على باب الله وجيت هنا لله وفي الله، السؤال المهم بقى يا بنتي هو إنتي هنا ليه وبتعملي إيه؟".

اعتدلت غادة في جلستها وقالت في خوف: "طب فهمني أنا مش عارفة حاجة ولا عارفة إيه اللي بيحصلي؟ أنا مش عارفة أخرج من هنا؟".

رفع الرجل يده أمامه وتدلت تلك السبحة العملاقة من إحدى يديه وكأنه إمام يخطب فوق منبر وقال: "الأرواح بتتلاقى في الملكوت يا بنتي، بتحس وتشوف وتسمع، في منها الأبيض زي الحليب الصافي، وفي منها أسود زي ضلمة ليل بحر مطلعلهوش بدر ولا نجم، وفي منها الهايم في ملكه مش عارف مصيره ولا داري بحاله، السواد بيسود لوقت طويل، ولحد لما النور يعود أقفي على رجلك يا بنتي، ومتخلهوش يوصل للي عاوزه، الأسباب بيسببها الخلاق، الأسباب بيسببها الخلاق".

احتد وجه غادة وقالت: "يعني إيه الكلام ده؟ فهمني".. تغير وجه الرجل واختفت بسمة واتجه

ناحية باب الغرفة وفتحه وهو في طريقه للخروج، أزاحت غادة الغطاء وهبطت من فوق الفراش لتلحق بالرجل وقبل أن تخط خطوة واحدة برزت يد من أسفل الفراش بلون قاتم أقرب إلى اللون الوردي المنطفئ، متحللة الأجزاء أمسكت بقدمها وجذبتها كي تقع وهي تستغيث بالرجل الذي أغلق الباب خلفه، ومن ثم سحبتها اليد أسفل الفراش وسط صراخ من غادة لتستفيق مفزوعة وهي بجانب الفراش أرضًا، ووسط صراخها الهستيري فتحت مادلين الإضاءة وقالت: "مالك؟ غادة؟ مالك؟" لتنظر لها غادة في خوف وتبكي بشدة لتكمل مادلين: "أنا كنت في الحمام ومكملتش دقيقتين إيه اللي حصلك؟".

في غرفة عادل يستلقي علاء على الفراش وبجانبه سليمان يغط في النوم، بينما عادل فضّل أن يقضي ليلته على أرض الغرفة حتى يتسع له التدخين، ولأنه أيضًا معتاد على ذلك كما قالها بسخرية لعلاء.

قال علاء موجهًا سؤاله لعادل: "أنت تفتكر إيه اللي في القصر ده يا عادل؟ يعني إحنا إيه اللي بيحصلنا كلنا مع بعض ده؟ اسمه إيه؟"

لم يتلق علاء إجابة من عادل، اعتدل فلم يلمح أي إضاءة لسجائره التي لا تنتهي طيلة الليل، بحث عن نظارته فلم يجدها، دب الخوف في قلبه من جديد وتذكر أنه نجا من الموت بأعجوبة في المرة السابقة، أرسل يده كي يوقظ سليمان الذي هدأ صوت نومه المبالغ فيه منذ دقائق، بحث بيده عن سليمان فلم يجده، تصلبت أطرافه وتعرق جبينه وسمع صوت دقات قلبه بأذنه، الصمت والظلام هما حليفان في مواجهة علاء الذي يحتضر ببطء، أزاح الغطاء وعلم أن عليه الخروج من الغرفة مهما كانت التكلفة، هبط أرضًا فتلمس قدمه شيئًا خشنًا كعظام مهشمة أصابت باطن قدمه، تألم ولكنه لم يصدر صوتًا، باب الغرفة على مقربة منه وهو منجاه الوحيد، خطى خطوات مؤلمة لجسده ونفسه، أصر على استكمال الخطوات ومجابهة الألم بسرعة أكبر بعدما سمع صوت تهشم العظام

من أقدام خلفه تتحرك بوتيرة أسرع من جسده البدين.

كلما خطى خطوة ذرفت عينه دمعة وذرفت قدمه نقطة دماء طابعة أثر قدمه على الأرض، أحس بدنو واقتراب من خلفه منه وأحس إن الباب يبتعد عنه صاح قائلاً: "عادل؟ سليمان؟ عادل".. لم يتلق ردًا، توقف واستسلم لمصيره، التفت وانتظر ما سيراه، توقفت الخطوات أمامه مباشرة وأحس بأنفاس ملتهبة وبرزت عين تلونت وأنارت فجأة لا تفرق بينها وبين عينه سوى سنتيمترات، صرخ علاء ليضيء النور سليمان ويقترب من علاء المتصلب، والذي بدأ جسده في التشنج والاهتزاز، بينما أفاق عادل النائم أرضا وأسرع نحوهم لحملوا علاء فاقد الوعي ويضعوه على الفراش، وقعت عين سليمان على الأرض فقال: "عادل، بص على الأرض"، ليتعجب عادل من الدماء التي تطبع قدم علاء على الأرض فينظر إلى قدمه ليجدها ما زالت تنزف فيحضر قطعة قماش ويوقف نزيفها.

تدخل سلمى إلى غرفة حازم عنوة وهي ترتدي ثيابا مثيرة أشبه بقميص نوم "أحمر قصير لا يستر الجسد"، تغلق خلفها بالمفتاح، ينظر لها حازم في إحـراج ولكنـه لا يستطيع نزع عينه عنها فهي تعجبه من أول وهلة، تقترب منه في دلال وهي تتراقص، يحاول أن يتكلم ويقول: "إنتي؟ إنتي؟ بتعملي إيه هنا؟ إنتي مش المفروض مع بسمة؟ سيبتيها إزاي؟".. تقترب سلمى بشدة نحو حازم وهي تقول: "وهي بسمة دي صغيرة يا حزومي، مقلتليش إيه رأيك في الأحمر ده؟" يبتلع حازم ريقه ويقول بلهجة طفولية بريئة: "كده تاخدي برد يا سلمى روحي البسي حاجة تقيلة وأبقي تعالي نتكلم"، تصدر سلمى ضحكة عالية فيشير لها حزم قائلاً: "هوس، هتفضحينا يا مجنونة"، تضحك ضحكة مماثلة ليتلون لون وجه حازم إلى الأحمر وتقول سلمى: "أمال أنا جيالك ليه يا حزومي مش عشان تدفيني، وتاخدني في حضنك، بص أنا عارفة إني عجباك من أول يوم وأنت كمان عاجبني ونفسي أصاحبك وأنا اللي أصاحبه أمه بتبقى

دعياله بيشوف كل فرق الدوري، أهلي وزمالك وإسماعيلي والمصري ولو حابب طلائع الجيش كمان"، يصمت حازم في شبه استسلام، تمسك سلمى به وتقبله، يحاول حازم أن يبعدها لكنها تتشبث به وهي تصدر ضحكات صاخبة، تدفع سلمى حازم إلى الفراش ليستلقي وهو غارق في عرقه وإحراجه، يحاول أحدهم فتح الباب من الخارج لأنه سمع الصوت العالي، يندفع حازم ويشير إلى سلمى أن تختبئ، يفتح نور الغرفة وهو يعدل من وضعية ملابسه ويمسح عرقه، يفتح الغرفة ليصدم بسلمى وبسمة ماثلين أمامه وتسأله سلمى: "إيه صوت الضحك ده، أنت مشغل حاجة عندك على السوند سيستم"، يبتلع حازم ريقه ومعه ما رآه للتو متكتمًا عليه لنفسه وأرثى هذا لشعوره ناحية سلمى الذي يقبع في أحشائه ويتذكر كلمة: "كلنا مرضى نفسيين بنسبة ما".

تدخل سلمى ومعها غادة إلى الغرفة وتقول: "أنا وبسمة هنام معاك هنا في الأوضة لو معندكش مانع يا حزومي أصل أوضتنا برد أوي وأنا عاوزة

ادفى؟ ماشي؟"، يبتسم حازم بتردد واضح ويتذكر ما حدث ويقول: "يكون أفضل ليّ وليكم طبعًا أنا هتمشى بره شوية عقبال ما تظبطوا حالكم وتظبطوا النومة".

مر اليوم بأكمله بين الخوف والرعب من أن يترك أحد بمفرده في مكان ما داخل القصر حتى من يريد الذهاب إلى "دورة المياه" يرافقه أحدهم ويظل يتحدث معه حتى يعودوا سويًا، الطعام والشراب متوافر بشكل جيد ولكن لا أحد لديه متسع من القدرة ليضع قدرًا ميسورًا في معدته من الطعام، تابعت سلمى اتصالاتها التي تفشل فيها للوصول إلى أحد من مسؤولي الشركة، لامها الجميع ولكن هي معهم هنا في نفس الوضع الشاق، ازداد التوتر وأصبح الجميع يعاني من نفس الحالة المرضية "الخوف من شيء غير معلوم".

"١٧" (اليوم الثامن... الثالثة فجرًا..)

سمعت غادة صوت أمها في غرفة مجاورة لها، خرجت مسرعة إلى مصدر الصوت، تلك الدندنة التي كانت تسمعها منها أثناء الصغر، دخلت إلى غرفة خالية من كل شيء ولا شيء سوى الرؤية الضبابية فقط، تطايرت أركان الغرفة بشكل مريب تاركًا غادة وسط مكان آخر غير التي دخلته لتشاهد من خلف زجاج أن هناك بالقرب منها أمام القصر المحيط بالأراضي الزراعية امرأة ترتدي زي ملكي جميل وهي في مقتبل شبابها تبكي بشدة وهي تعتلي عربة يجرها أكثر من فرس، قبل أن تدلف إلى العربة تنظر إلى "رستم باشا"، الذي يقف في شموخ وينظر لها في قسوة ويشير إلى قائد العربة أن يتحرك فيفعل ذلك سريعًا بعد أن يغلق الباب جيدًا على المرأة، بعد أن سارت العربة وخرجت من البوابة الرئيسية للقصر تضع المرأة يدها على بطنها وتبكي وهي تقول: "أبوك الباشا

عقله شت يا باشا صغير، بكرة تكون باشا في أسطنبول تعيش باشا وترفع اسم باشا رستم".

ينظر "رستم" إلى العربة حتى تخرج من مجال بصره ورؤية ثم تتساقط دموعه وهو صلب الجسد والمشاعر لا تتغير ملامح وجه الجامدة ولكنه سرعان ينظر إلى "غادة" التي كانت تشاهد كل ذلك من داخل القصر عبر نافذة فيقترب منها رستم "باشا"، وهو يصيح "غادة" لتفزع وتفيق من نومها وهي تقول: "إيه اللي بيحصلي ده ؟، كفاية كده كفاية بقى"، وتقذف بكل شيء حولها إلى الأرض في حالة هستيرية قوية لتضيء مادلين نور الغرفة ويحضر كل الموجودين بالغرف الأخرى في رعب يحيط بعيونهم، يدخل حازم ويخرج حقنة مهدئة ويفرغ محتواها في جسد "غادة"، لتعود إلى النوم فينظر إلى سلمى ويقول: "سلمى عاوزك تيجي معايا والباقي خليكوا هنا مع غادة لحد لما تفوق".

تخرج "سلمى" خلف "حازم" وتقترب منه في شدة

ليظهر عليه ملامح الجدية ويقول في عصبية: "سلمى إحنا لازم ننهي البرنامج العلاجي ده حالاً، اطلبي من الشركة بجد إننا نتحرك حالاً بره القصر ده عشان نقدر نعالج غادة، غادة هنا وضعها بقى أسوأ بكتير من الأول!".

تنظر له سلمى في حدة وتقول بانفعال: "أنت مالك مهتم بيها أوي كده زيادة عن اللزوم يا حازم، عجباك البت دي؟".

ينفجر حازم بعصبية: "مش معنى إني مهتم بحالة مريضة أبقى مغرم بيها، أنا لا مهتم بيها ولا بغيرها وبكرة الصبح لو مجبتيش موافقة من الشركة أنا هخرج أنا وغادة وكلنا من هنا من البرنامج العلاجي ده إنتي فاهمة؟ وبأي طريقة وهطلب الشرطة يهدوا الحواجز اللي أنتوا عاملينها حوالين القصر وحابسينا فيه، أنا معايا تليفون كنت شايله لأي أزمة وهشغله حالاً لو متصرفتيش، ومتفتكريش إني لما وافقت إننا نكمل رغم كل اللي بيحصلهم وحصلك إنتي كمان إني أستنى إن حد

يروح مننا هنا، المكان ده فعلاً فيه حاجة، وإنتي عارفة كده كويس صح؟".. ثم يتركها وهي تنظر إليه شذرًا وتخرج هاتفها لتجري مكالمة.

لم ينم أحد حتى ارتقت الشمس إلى عرشها في أوجها، ترسل نورها ليتخلل بين الستائر العملاقة راسمًا لوحة فنية مرعبة لقصر منعزل في وسط الصحراء القاحلة يحبس بين ضلوعه شبابًا، اقترب ودنى منهم الخوف حتى تلبس أجسادهم الهزيلة نفسيًا.

صمت يشرح كل بصخب كل ما حدث هنا وبوضوح، لأي سبب يحدث كل هذا؟ تظهر على ملامحهم وأعينهم المترقبة كل شيء، جدران ليست بالجدران وقصر ليس بالقصر وبرنامج علاجي أصبح هو المرض في حد ذاته.

قال حازم محاولاً التخفيف عن الجميع: "مادام إحنا هنا ومع بعض مفيش أي حاجة هتحصل لحد، ومادام كلنا مع بعض يبقى مفيش مشاكل، المشكلة بتبتدي لما يكون حد فينا لوحده جسديًا أو نفسيًا

صح؟"، حرك الجميع رؤوسهم في كسل بالموافقة على كلامه فأكمل: "يبقى لازم نفكر بصوت عالي ونحط أساسات واحتمالات لكل اللي بيحصل هنا، ومين السبب فيها، رغم إني مش معتقد في الخرافات، لكن التفكير بصوت عالي تفريغ لأي طاقة سلبية، مين حابب يتكلم؟".

قال علاء: "إحنا هنخرج من هنا أمتى يا دكتور حازم؟ أنا كنت هموت هنا مرتين وأنت لسه عاوز تكملي جلسات علاجية؟، أنا عاوز أخرج من هنا، أنا مش هموت هنا".. نظر له حازم في محاولة لامتصاص غضبه وخوفه وقال: "هنخرج من هنا يا علاء أوعدك وهنخرج كلنا كمان وبحالة كويسة، وهتكون تجربة مش هتنسوها وهتستفيدوا منها".. أصدر عادل ضحكات ساخرة وقال: "زي التجربة بتاعة المعتقل بالظبط، خرجت منها برضه باستفادة أنا فاكر، وأكبر استفادة إني بقيت مش عارف أعيش مع نفسي حتى، أنتوا عارفين الفرق بين هنا في المكان ده وهناك في المعتقل ده إيه إن هناك عذاب جسدي، وهنا عذاب نفسي، هناك

أنت مش بتبقى عارف إيه قدر إصابتك الجسدية وهنا برضه مش قادر أحدد قدر إصابتي النفسية، هنا زي هناك بالظبط، شكرًا ليك يا دكتور حازم إنك اخترتني!".

قال حازم بنفاد صبر: "إنتوا فاكرين إن كل الطاقة السلبية دي من القصر وكل اللي بيحصل ده من كيـانات خرافيـة هنا، لا ده من فكركم ونفسيتكم المتبهدلة، إنتوا فعلاً مرضى نفسيين، إنتوا ناسيين ده وناسيين إنكم هنا عشان العلاج وساعات العلاج بـيكون بـالكي فـي بعـض الأحـوال زي البتـر، وهنا برضه في الطب النفسي في حاجات لازم عشان تتعـالج منـها إنـك تتعرضـلها بجرعـة زيادة شوية عشان تبقى قادر إنك تعديها وتكمل حياتك".

نظرت بسمة في غضب إلى حازم وقالت: "يعني إنت عاوز تقولنا إنكم قاصدين تعملوا فينا كده؟ يعني ده من البرنامج العلاجي؟ إنكم تحبسونا هنا وتلعبوا بينا وبمشاعرنا وتبهدلونا، ده إحنا جايين متبهدلين كفاية".

تنبه سليمان إلى ما قالته بسمة وقال موجهًا كلامه لبسمة: "الهانم دي بقى متفقة مع الأستاذ الدكتور حازم عشان يعملوا علينا شو محصلش قبل كده ويحطونا في مكان ويلعبوا بمشاعرنا، إحنا لازم نخرج من هنا، هاتولي تليفون وأنا هتصرف، فتشوا كل الأوض على الناس اللي معانا هنا"، ازدادت الجلبة والهجوم العنيف على حازم وسلمى.

قال حازم مقاطعًا الجلبة: "إحنا هنا لوحدنا".. ثم أعادها بصوت أعلى: "إحنا هنا لوحدنا، افهموا بقى"، أنا كلامي مكنش معناه إننا اتفقنا عليكم، أنا البرنامج اللي عاوز أنفذه واللي وافقت عليّ تنفيذه مكنش فيه إن حد ممكن يضايقنا، المفروض إنه مكان مناسب ومتجهز كويس للبرنامج العلاجي، اللي حصل ده أنا قريت عنه كتير، ولما أوصل لنتيجة هقولكم عليها، أنا بالفعل اتكلمت مع سلمى إنها تخلص الموضوع وتنهي البرنامج العلاجي ونخلص من المكان ده".

(التاسعة مساءً...)

تتوجه مادلين بحذر إلى المطبخ لشعورها بالجوع بعد أن سحبت نفسها في سكون وسط الجالسين، إضاءة المطبخ لا تعمل بشكل جيد، إنها تتقطع، لم تكترث وحاولت أن تجمع شتات نفسها الخاوية بأن تنهي ما جاءت من أجله وبسرعة، أحضرت ما يلزمها على ذلك الضوء المتقطع الذي أظلم فجأة، شعرت ببرودة وحركة من حولها، التفتت وهي تمسك بالسكين، حاولت الخروج ولكن باب المطبخ أغلق بقوة، الظلام هو الأقوى، حاولت إشعال "البوتاجاز" فلم يستجب، لمحت شخصًا يقف بالقرب منها، وهو مقبل عليها في سكوت محرك بيده الأواني المعلقة بأسلوب غربي بحت، يفصل بينهم منضدة كلما تحرك هو تحركت عكسه حتى لا تواجه، ممسكة بالسكين بيد مرتعشة، أضواء القمر المتسللة من بين حديد شباك المطبخ تظهر جسدًا عملاقًا بطيء الحركة".

قالت مادلين في خوف: "أنت مين؟ وعاوز مني إيه؟"، لم يجب بل أصدر صوتًا متحشرجًا أ صاب مادلين بالهلع، كررت نفس السؤال ليجيب: "أنا مش

عـاوز حاجـة منكم، أنـا عـاوزكم أنتـم"، أصـدرت مـادلين شـهقة مـن صـوته الغريب المؤذي للآذان وصـرخت، سـمعها مـن بـالخارج توجـه سـليمان مسرعًا إلـى مصـدر الصـوت ليجـده المطبـخ، ظـل يضـرب البـاب بقدمه وسـاعده فـي ذلـك عـادل، مـا زالـت مـادلين تصرخ بالـداخل، استغل عـلاء ثقلـه واندفع باتجاه باب المطبخ فاستطاع كسره ووقع أرضًا متألمًا، بينما كانت مادلين ممسكة بالسكين مصابة بحالة من الذهول.

اقترب حازم منها في بطء وقد علم أنها في حالة صـدمة، كـادت تطعنـه ولكنـه استطاع أن يتحكم بالوضـع وخـرج بها من المطبـخ وقـال: "إحنا لازم نفضل مع بعض وكل شوية نبص حوالينا نتأكد إننا كاملين.

مرت الليلة كسابقتها من الخوف، فضل فيه الجميع أن يبيتوا داخل الغرف بسبب برودة الجو العجيبة التي ألمت بالمكان كله وانقمسوا رجالاً وإناثًا كل منهم في غرفة منفصلة، ولكنها ملاصقة تأهبًا لأي

شيء شيطاني جديد.

قبل أن يحل منتصف الليل بدقائق اقتربت سلمى من حازم وقالت له في صوت ضعيف: "محدش بيرد عليّ ولا حتى المديرين، المرة دي بجد"، نظر لها وأخرج هاتفًا من جيبه وقال استنني أنا هعمل محاولة من عندي حتى لو للشرطة، طلب رقم النجدة فلم يجد شبكة، حاول من هاتف سلمى فلم تجد هي الأخرى شبكة فأجرت محاولة لمدير الشركة فلم تجد شبكة، نظر الاثنان إلى بعضهما في خوف وقال: "خلي الموضوع سر وربنا يستر، أنا مش عارف إيه اللي بيحصل؟".. لتشاركه سلمى نفس الرأي بخوف: "ولا أنا يا حازم، ولا أنا عارفة إيه اللي بيحصل معانا هنا، هما سابونا هنا وقفلوا علينا زي ما يكون دفنونا وقفلوا علينا القبر".

"١٨" (اليوم التاسع... الثالثة فجرًا...)

"غـادة، غـادة!! يا غـادة يا بنتـي؟".. نـداء قـادم من خارج القصر تسمعه غادة من الشرفة بغرفة النوم، تسرع في النظر من بين الحديد المانع من الخروج لتجد غادة الرجل الوقور الذي يأتي ويرحل كل فترة تاركًا لها تساؤلات لا إجابة لها وأهمها هل هو حقيقي أم خيال؟ يقف ينظر لها في انتظار كلماتها الكثيرة وهو يعلم ذلك.

تنظر له وتسأله: "نخرج من هنا إزاي ساعدنا"، لا يجيب بل يبتسم فتعيد عليه السؤال: "قولي طب على مخرج أو شاورلي حتى على مكان الخروج، إحنا بنموت هنا ببطء"، اقترب الرجل خطوات من القصر المحاط بحواجز حديدية وقال: "الخلاص له يـوم معلـوم، يمكـن علـى يـدك أو يـد غـيرك، بـس طريقـة واحـدة لـه، شـوية عضـم تحـت الـتراب مستريحين، ويا ريت يكون على يدك يا بنتي، يا

ريت يكون على يدك".. ثم التفت وهو يسبح على مسبحته العملاقة متجهًا بعيدًا عن القصر، ظلت تنادي "غادة" عليه: "أستنى قولي أعمل إيه، أستنى متسيبنيش، أستنى خرجنا من هنا"، لتسمع صوتًا خلفها يقول: "مش هيرد عليكي"، تلتفت في فزع وتبحث عن مصدر الصوت فلم تجده نظرت مرة أخرى إلى الخارج فوجدت الظلام التفتت لتجد ظلاً يتحرك ويقف خلف صورة لأحد الباشاوات لم تكن موجودة سابقًا في الغرفة، ارتعشت ودققت النظر لتجد الصورة ترمش ويتغير لون عينيها إلى الأسود وبهتان في بشرة الباشا، صرخت لتجد نفسها واقفة في وسط الغرفة ومن حولها سلمى وبسمة ومادلين ممدين وأفاقوا في فزع ناظرين إليها بعيون ناعسة متسائلين فأخبرتهم بأن يكملوا نومهم حتى الصباح وجلست هي فوق الفراش مرتعدة تهتز في خوف.

رائحة العطر تحمل سليمان على الاستيقاظ، فتح عينيه ووجد باب الغرفة مفتوحًا وهناك امرأة جميلة تشير إليه أن يذهب لها، نظر إلى النائمين

حولة وتحرك بسكون، خرج فوجدها أصبحت في الممر تنتظره بابتسامة ساحرة وهي تضحك بدلال، أغلق الباب خلفة ببطء، أصدر أزيزًا أفاق عادل عليه، هبطت درجات السلالم تلك الفاتنة صاحبة الوجه الأبيض والفستان الأبيض المنير يحمل عطرًا يضيف جمالاً لها، تبعها سليمان في وله وابتسامة المسحور خلف من تناديه، هبط السلالم فوجدها تقف أمام البيانو وتشير له أن يعزف لها، جلس وظلت هي تنظر له وتداعبه أثناء عزفه الجميل الذي أفاق على صوته كل من بالقصر، ظل يعزف قرابة الخمس دقائق وبدأت تلك الفاتنة تتراقص أمامه وهو يزيد من رتم الإيقاع، نظر عادل من الدور العلوي للقصر فوجد سليمان يعزف وهو ينظر إلى الفراغ بابتسامة ترتسم على شفتيه، لم يحرك ساكنًا ولكنه ظل متأهبًا لأي شيء سيحدث.

سليمان على تلك الحالة من المتعة والزهو في وجه تلك الفاتنة التي بدأت تتغير ابتسامتها إلى خوف وفزع رسم على نظرتها التي ألقتها خلف

سليمان، لاحظ تلك النظرة سليمان، وأيقن أن أحدًا ما خلفه، أوقف عزفه واستدار ببطء ليجد جسدًا ضخمًا يقف خلفه مباشرة، وقف مرتعدًا وحاول الفرار لكن الرجل الضخم أمسكه من رقبته وأخذ يرفعه لأعلى، فجأة جذب عادل سليمان ليقع أرضًا وهو يصدر سعالاً بصعوبة، نظر سليمان حوله فلم يجد إلا عادل بنظرة يلومه فيها.

تساءل عادل: "أنت بتعمل إيه لوحدك، إيه اللي خرجك؟".. قال سليمان: "مش عارف غير إني كنت ماشي ورا واحدة جميلة وفجأة لقيت نفسي مسلوب الإرادة، أنت شوفتها أو شوفت الراجل اللي كان هخنقني ده؟".

قال عادل: "أنا مشفتش حد، أنا لقيتك طلعت فوق البيانو ولفيت حبل على النجفة ولفيتة حولين رقبتك وحدفت نفسك في الهوا، جريت بسرعة واتشعلقت في الحبل ووقع بينا في الأرض، أنت كنت هتموت نفسك!"، نظر له سليمان في تعجب ووقف وقال: "يلا بينا من هنا طيب".. ثم صعدا إلى

أعلى وسط خوف وفزع من سليمان.

في وقت الغروب خرج حازم وتبعه بقية الرجال وطرق على غرفة سلمى وقال: "إحنا مستنيكم تحت، عاوزين نشوف ممكن نعمل إيه في اللي جاي، يلا الموضوع مينفعش يستنى، إحنا النهارده تاسع يوم ومافضلش غير بكرة، يلا على تحت ضروري".

نصف ساعة وحضر الجميع في حالة مزرية من الخوف والارتباك وسط أجواء يشوبها الخوف من المجهول، أراد حازم أن ينهي تلك الأزمة النفسية الحادة وقال: "أنا قلتلكم إني هوصل لنتيجة علمية لكل اللي بيحصلكم الموضوع هيطول شرحه عشان كده هنقسمه على يومين النهارده وبكرة"، قاطعه عادل قائلاً: "إحنا لسه هنقعد لبكرة، إحنا اتكلمنا قبل كده في موضوع البرنامج العلاجي والكل منسحب".. قال حازم مبررًا: "كده كده النهارده تاسع يوم وهم ١٠ أيام وبكرة آخر يوم والأبواب دي هتتفتح، وممكن خلال النهارده وبكرة

سلمى تتواصل مع المسؤولين ويتفتح في ميعاده زي المتفق عليه، بس إحنا كمان لازم نخرج من هنا سلام وده هدفي من الأول ونبقى كسبنا اللي جايين عشانه لو كان فلوس أو سفر بره البلد أو علاج".. نظر حازم إلى الجميع فوجد حالة من اللامبالاة لقوله فقال بصوت مسموع: "أنا عندي تفسير، وأنتوا محتاجين تفسير، هتسمعوةه ولا تفضلوا في خوفكم مع بعض؟".

قالت بسمة في ارتباك: "اتفضل يا دكتور، إيه تفسيرك، أنا مش حاسة أن في تفسير غير إن المكان ده مسكون".

قال حازم بأسلوب مدرس في أكاديمية: "وده أول الخيط، كل حاجة حصلت هنا استقبلها كل واحد فيكم على حسب ثقافته وطبيعته وتعليمه، بسمة قالت البيت مسكون، وأنت يا علاء؟"، قالها وهو يشير إلى علاء فرد بعد بعض من الوقت، "أنا بقول إنه مفيش حاجة اسمها عفريت بس أنا شاكك جدًا في إن البيت ده ليه روح خاصة بيه"، ابتسم حازم

وقال: "وأنت يا عادل؟"، قال عادل: "حد بيحب يتمتع بخوف الناس!"، وأكمل حازم وقال: "وإنتي يا مادلين"، قالت في خوف: "مش عارفة إيه بالظبط". أشار حازم إلى سليمان وقال: "وأنت رأيك إيه يا سليمان؟"، فقال مهاجمًا كعادته: "إدارة البرنامج بتصورنا وبتلعب بينا عشان مادة إعلامية حقيرة"، ابتسم حازم وقال: "وإنتي يا غادة؟ رأيك إيه؟" قالت غادة مجيبة عن التساؤل: "لسه مش قادرة أحدد إيه بس مش حاجة عادية ومحدش يقدر يدخل جوه عقل بني آدم زي ما حصل معانا كلنا".

رد حازم قائلاً بلهجة المنتصر: "أنا أعرف مين يقدر يعمل كده"، وقبل أن ينطق انقطعت الإضاءة عن القصر بالكامل فصرخت الفتيات بينما تأهب الجميع وأناروا بالقداحات وأشعلوا العديد من الشموع، وظلوا صامتين حتى أفزعتهم الساعة بأنها منتصف الليل الآن.

قال حازم بصوت عالٍ مسموع: "محدش يسيب

المكان ويروح في حتة لوحده تحت أي ظرف لحد لما النهار يطلع كمان ٦ ساعات، اللي عاوز ينام ينام بس هنقسم ناس تكون صاحية وناس نايمة، أنا هفضل لحد ٣ الفجر مين هيقعد معايا؟ وبعد كده ناس من٣ لـ ٦ مجموعة تاني تكمل، ها مين هيبقى الأول؟".. سكت الجميع فقال علاء ساخرًا: "شكلنا كلنا قاعدين يا دكتور متتقلقش محدش هينام هنا تاني وسط القلق ده"

أصوات ظلت تتردد طيلة الليل لبكاء أطفال وضحكات وصرخات وصياح، بينما ظل الجميع ساهرًا في ذعر محاطين أنفسهم بعدة أثاثات على شكل مربع مغلق كالأطفال، الشموع تفي بالغرض وعبق السجائر يملأ المكان وسط سعال من لا يدخن، ولكن أفضل من الصمت المفزع.

قال علاء بخوف: "تفتكروا هنخرج من هنا عايشين؟"، ثم بدأ في التنهد ليجيبه عادل بتشأوم: "مش كلنا يا علاء بس اطمن أنت منهم"، ليصدر الجميع ضحكة حطمت الكثير من الخوف وجعلتهم

يكملون الليلة على تلك الوتيرة حتى بدأت الشمس في السطوع بعد أن تأخرت لأيام ليس لساعات.

"١٩" (اليوم العاشر...)

جلس حازم أمام الجميع وقال: "اللي بيحصل هنا واللي شفتوه كلكم ملوش تفسير غير حاجتين الأول والخرافي إن القصر مسكون وده كلام بطل من زمان ومش علمي والتفسير التاني والأهم والأقرب إلى الصواب من حكم واقع خبرتي وعملي إن دي هلاوس بصرية وسمعية مشتركة زي ما تكون حالة عامة يعني، وده نتيجة انعزال الجميع داخل مشاكلهم النفسية، وكمان لأن الموضوع ابتدا عند غادة وهي كانت مميزة عند الكل من أول يوم، فالكل تعاطف معاها وصدقها شوية بشوية لحد لما وصلتوا كلكم للحالة"..
حاولت بسمة قطع كلام الطبيب قائلة: "بس إزاي كلنا بنشوف نفس الشخص؟".

رد حازم بأسلوب علمي وبثقة قائلاً: "أنا دليلي حاجة واحدة، هو إن واحد بس هو اللي متأثرش بأي هلاوس وهو أنا لأني عارف أعراضه وإزاي ممكن أطرد أي أعراض ليه من نفسيتي ومن عقلي

بخلافكم، لو المكان كان في حاجة كنا كلنا شفناها ولا إيه؟".. نظر الجميع إلى بعض، بينما غادرت غادة الجلسة وهي دامعة العين.

خرج الجميع بحثًا عن غادة فوجدوها تقف أمام لوحة وتمعن النظر في عمل فني بديع لرجل يبدو عليه السعادة والعزة ويبدو أنها تخص صاحب القصر الأصلي"رستم باشا".

اقترب من غادة حازم في حذر وقال هامسًا: "إيه اللي شادك في اللوحة دي يا غادة، فيها إيه مختلف عن باقي تحف المكان؟".

ردت غادة بهمس دون أن تنزع عينيها من على الصورة قائلة: "بتتغير" لم يسمعها حازم فقال"إيه؟".. فردت بصوت سمعه الجميع "بتتغير، اللوحة بتتغير وتتحرك".

اقترب الجميع وقد لاحظوا جزءًا طفيفًا يتغير في إطار اللوحة، ثم انتقل إلى مضمونها كأنها كاميرا تبتعد لتظهر مشهدًا غريبًا وتغير جذري في اللوحة

لتهبط بهم.. داخل حجرة عالية الجدران كثيرة التحف والزخارف الفنية الجميلة، ستائر منسدلة ومتقاربة تغطي نوافذ عملاقة يتسلل من بينها ضوء غروب الشمس المودع، هناك رجل ضخم الجسد وسط الغرفة غليظ الصوت أبيض البشرة كثيف اللحية صفراء اللون ملابسه تخص باشوات عصور الثمانينات، يداعب طفلة يبدو عليها الخوف والفزع، متوهمًا سعادته وسعادتها، يخاطبها بلهجة تركية قديمة: "إنتي جميلة، قرة عين الباشا، صغيرة شبه باشا تمام".

تبتعد الطفلة صاحبة السبع سنوات في خوف منه وهي تدمع العينين وتقول: "أنا عاوزه أمي، عاوزه أبويه" يقترب منها الرجل العجوز مادًا يده ويقول: "قرب لباشا يا صغيرة، نلعب بعرايس وبفساتين هانم، قرب "تومادر" ابنة باشا".

تبتعد الطفلة أكثر ملاصقة ظهرها لحائط يحمل ستائر حمراء فاخرة، وهي تقول باكية: "أنا مش بنتك تومادر، أنا عاوزه أمي"، وتكمل بكاء لتتغير

نظرة الرجل ويستشيط غضبًا ويقترب من الفتاة وهو يبكي ويقول: "أخدوها تومادر من باشا ليه؟، هي هانم بكرة تكبر".. تصرخ الفتاة وتنقطع صرختها في ثوانٍ.

تصدر الطفلة تشنجًا وارتعاشًا وتلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدي الرجل الممسك برقبتها وهو ضاغط عليها بشدة في ذهول وهو جاحظ العينين ويبكي ويصدر بعض الكلمات غير المرتبة: "تومادر ماتت، إنتي لازم موتي زيها، كله لازم موت زيها، بنات فلاحين عايشة وبنت باشا موت".. وهو ما زال يضغط على رقبتها بشدة وعنف حتى همدت حركة الفتاة وارتخى جسدًا تمامًا.

الرجل في حالة صدمة وهو يتمتم ويحمل الطفلة ويتوجه بها إلى الممر العلوي من القصر، يمشي كأنه إله موجه إلى مكان ما من دون وعي أو إحساس، يحمل جثة الطفلة وهو صلب الوجه تتساقط دموعه ويتحرك لسانه من دون توقف بعدة كلمات لا معنى لها كأنها تعويذة ما.

يهبط سلالم القصر إلى ساحة القصر شاسعة المساحة وجدرانها العالية وتحفها الفنية ورسوماتها باهظة الثمن وكاملة الرقي، يتوجه إلى المدفئة ويمسك بـ"سيخ" لتقليب الحطب يضعه داخل النيران المشتعلة كنيران قلبه التي لا تخمد أبدًا أو يبلى حطبها، يصطدم "السيخ "بشيء فيسحبه الرجل لتنقسم المدفئة إلى نصفين راسمة طريقًا وسط النيران المشتعلة.

يمر الرجل وسط النيران التي تنعكس على عدسات عينه المفتوحة من دون وعي وعقل مغيب ولسان ناطق بكلمات تخيف حتى يصل إلى سلالم تقود إلى الأسفل ملتفة حول نفسها كثعبان ضارٍ.

سلالم طويلة تقود إلى مقبرة خاصة برجل فقد ابنته في سن مبكرة، وفقد معها عقله وقلبه فدفنها هنا وظل يراقبها يوميًا تتحلل وفي ذكرى وفاتها يأتي بطفلة في مثل سنها يداعبها ويلبسها ما كانت ترتديه ابنته "تومادر" ويداعبها مناديًا باسم

ابنته، وبعد أن يعود إلى رشده وسط تذمر الطفلة وخوفها منه، يستعيد شيطانه الدامي، ويقوم بقتلها ووضعها في ذلك القبر، أسفل قصره، وفي غرفة يختفي داخلها لساعات ينعي ابنته ويتمتم بكلمات تشتت الأذهان.

أنهى السلالم ووقف أمام باب خشبي كبير به رسومات ونقوش وبعض آثار لحوافر حيوانات ضارية، يدفعه فيصدر أزيزًا مرهقًا للآذان ويلقي رعبًا في القلب، يظهر أمامه ظلام بارد يضع الطفلة أرضًا ويحضر شعلته ويشعل باقي الشعلات المتناثرة لتظهر معالم الغرفة.."غرفة خانقة قريبة السقف والجدران، أرضها رمال وفي أوسطها غطاء حديدي ينفتح إلى قطعتين وبه "جنزير" وقفل، بينما الجدران رملية صفراء اللون ولا وجود لمنفذ للهواء، مكتب خشبي قديم وكرسي خشبي بجانبه وعدة أوراق وأختام على ظهره".

اتجه الرجل إلى الغطاء الحديد فتح قفله وسحب "جنزيره" بصوت رنان لتصادم الحديد، أزاح الغطاء

إلى نصفين ليتضح أنه باب يخفي تحته مقبرة جماعية لعشرات الأطفال متراصين بجانب وفوق بعضهم في ملابس طفولية باهظة الثمن، ينظر الرجل إلى هيكل عظمي يتوسطهم ويبكي ويقول"تومادر، صديقة جديدة جابها باشا تلعب معاكي، زي كل سنة"، ثم يتجه إلى الطفلة القابعة أرضًا ليتفاجأ بعدم وجودها يقترب ليجد آثار أقدامها الطفولية على الأرض، يصيح ويعدو صعودًا إلى السلالم خلفها ليجدها قد اجتازت باب القصر وهي تهرول وتصرخ.

يهرع إلى حصانه الأسود المطيع الذي استخدمه عشرات المرات للتجول واصطياد فريسته في كل عام من أطفال الفلاحين الذين لم يتوقع أحدهم خطف أطفالهم في نفس الوقت من كل عام، دون رجوعها أو ترك أي أثر لها، فكل عام كانت تحدث حالة اختفاء لطفلة في عمر الـ٧ سنوات، يتجمع الأهالي بحثًا عنها من دون فائدة يستمر الوضع صباحًا ومساءً لمدة شهر حتى يفقدوا الأمل في العثور عليها ويرجعوا سبب الاختفاء إلى العفاريت

والجان وأي شيء خرافي لوجود الجهل المستمر المتفشي بينهم وداخل معتقداتهم، حتى إن منهم كان يذهب للباشا "رشتم باشا"، ويطلب منه العون في البحث عن فلذة كبده فيخرج معه غفر وحرس له يبحثون معه في كل القرى المحيطة ووسط الحقول والترع المجاورة من دون جدوى.

تلك المرة هربت الطفلة وأخذ "رستم باشا" يعدو خلفها بفرسه الأسود كشبح الموت في وسط الظلام، تمكنت الطفلة التخفي وسط الحقول حتى وصلت إلى دارها ولمحها "رستم باشا" من بعيد فلم ينتبه إلى وجود أهل القرية حولها كانوا يبحثون عنها طوال أيام مضت، يهجم عليها فتصيح وتبكي وتهرع إلى إحدى الدارات فيتتبعها بفرسه وسط ذعر من أهلها والفلاحين المتسائلين عن السبب، يجرون خلف الفتاة والباشا داخل دار أهل الطفلة.

يهبط "رستم باشا" من على فرسه ويقترب من الطفلة بعد تعثرها وبكائها الشديد ووقوعها أرضًا،

ينقض عليها فيتلقى دفعة من والد الطفلة، فيغضب الباشا ويتفوه بكلمات تكشف كل شيء عن اختفاء تلك الأطفال طوال كل السنوات الماضية: "لازم موتي، زي تومادر، كل بنات فلاحين لازم يموت، أنتِ لازم موت زي اللي قبلك".. ثم يتغير وجهه ويبتسم للطفلة ويكمل: "العب مع تومادر وأصدقائها صغيرين سنك، يلا تعالي باشا وديكي عند تومادر"، ترتعش الطفلة وتختبئ خلف والدها فيغضب "رستم باشا"، ويصيح ويدفع الأب ويحاول أن يمسك الطفلة ويخنقها.

يتلقى ضربة على رأسه توقعه أرضًا فينظر إلى الفاعل ليجده الأب يقول: "أنت اللي كنت بتخطف كل بناتنا وعيالنا وتحرق قلبنا عليهم ودلوقتي عاوز تقتل بنتي التانية زي الأولى يا ابن الكلاب"، يستمع كل من كان في الدار إلى ما قاله والد الفتاة وينهالوا على الباشا بالضرب بالـ"شوم" والسب حتى يغرقوه في دمائه ويجروه خارج الدار ويوقودوا نارًا ونيتهم أن يلقوه فيها ليحرقوه ويمثلوا به كما حرق قلوبهم على فلذات أكبادهم.

يتـدخل الغفر سـريعًا ليبعـد الفلاحـين عـن الباشا ولأنهم على جهل بما حدث، يستغل تلك الظروف "رستم باشا" ويعتلي فرسه فارًا من المكان، يخرج أبو الطفلة سريعًا ويخبر الغفر "إيه اللي عملتوه ده، ده هو اللي قتل بناتنا وأنتم سبتوه يهرب".

أحد الغفر كان قد شرب من نفس كأس مرار فقدان بنته الوحيدة، أنزل بندقية ولمح الباشا يهرب فوق فرسـه الأسود، صوب عليه وأطلق الأعيرة لتعبر الطلقـة مـن ظهر إلى صدر "رستم باشا" فـينكفئ على الحصان الذي يعدو أسرع إلى قصر الباشا.

بـالقرب مـن بوابـة القصر وقـف الفرس ووقع من فوقه "رستم باشا" غارقًا في دمائه واتجه زاحفًا على وجهه إلى سلالم القصر، صعدها كمدًا وهو يـنزف حتـى دلـف إلى القصر وأغلق بابه"، فرس يعدو بنفير المستغيث نحو قصر مهيب ويحمل فوق ظهره جريحًا يتساقط منه الدماء كنهر جارٍ من دون توقف متشبث بفرسه كحبل نجاة أخير انتشله من وسط الموت ويفر به، ساعاته الناهية

تلاحق نفسه المتقطع وأنينه يذبح ما تبقى من صوت شاحب غير مسموع، درجات يصارعها المحتضر صعودًا إلى باب القصر ويغلقه خلفه ببطء ليمكث في ظلام قاتم يقلب عينيه في شتى جوانب القصر".

أصبح وسط الظلام الآن، ظلام داخلي وظلام خارجي، أصوات الفلاحين ومشاعلهم وإطلاق بعض الأعيرة النارية أصبح قريبًا من القصر، بكى "رستم باشا" بحرقة قلب وألم في سائر أنحاء جسده المتضرر بين كسر ونزيف وطلقة في الصدر، زحف إلى المدفئة يلفظ آخر ما تبقى من هواء حياته الشنيعة، أحضر الـ"سيخ" الحديدي وجذب اليد من وسط النيران لتفتح المدفئة راسمة الطريق الناري الجوانب، يعبر زحفًا في طريقة إلى قبره السري، تلتصق إحدى شعل النيران بطرف ثيابه من دون شعوره.

يمر إلى السلالم ويغلق خلفه المدفئة بنظرة حسرة الذي لن يعود إلى الخارج مجددًا، يشعر بلهب

بجسده ويوقن من أن النيران قد أمسكت بجزء كبير من ثيابه، يحاول التقلب فيسقط ملتفًا على السلالم ليتهشم ما تبقى في جسده من عظام إلا قليل، يسحب نفسه مشتعلاً إلى داخل الغرفة المظلمة التي أنارها هو بجسده المشتعل.

دخل إلى الغرفة وزاح الباب الخشبي الضخم ليغلقه، نزف كثيرًا وشعر باقتراب موته وأن ملك الموت أصبح على بعد خطوات منه، ضحك بهستيريا وذرفت عيناه دموع الألم من النار وكل ما نفى جسده، زحف حتى التصق صدره فوق الغطاء الحديدي وقال: "تومادر، يلا نلعب سوا، يلا نلعب مع باشا بنتي"، ثم أخذ آخر شهيق وخرج بطيئًا ممتزجًا بروحه الشيطانية الملعونة تاركًا جسدًا مهشمًا تأكله النيران ودماء تسيل لتعانق الجدران ويتشربها رمال الغرفة وقبرها.

اقتحم الغفر والفلاحون مشتعلي الصدر القصر وفتشوا في كل مكان وسط صخب وسباب بحثًا عن الشيطان المريد الذي فتك ببناتهم وقتلهن

بأبشع الطرق وأخفاهن داخل القصر، مرت ساعات بل تعاقب الليل والنهار لمرات عديدة من دون فائدة، لم يعثروا على شيء حتى اختلق الجميع خرافة أنه من الجان والشياطين أتى واختفى وسط جهل وخوف منهم.

بدا وجه "رستم باشا"، الذي فقد روحه للتو في التغير، أصبح ملقى أرضًا وقد هبطت النيران وخمدت بعد أن أكلت جزءًا كبيرًا من لحم جسده وأفحمته، متهشم العظام وتحولت عينيه إلى الأسود القاتم وسال الدم الأسود من فمه.

وعادت الصورة إلى أصلها وتغيرت بسمة "رستم باشا" إلى سواد في الوجه والعين وغضب يسري على قسمات وجهه المرسومة داخل لوحة تغيرت إلى شيء بشع في ذهول من الموجودين مصاحبًا لصوت صرخة رج المكان لأطفال ورجل يصيح.

نظرت غادة إلى حازم الذي فقد النطق في تلك اللحظات وقال: "الموضوع مش طبيعي إحنا بنواجه كيان ميقدرش حتى العلم تفسير وجوده

هنــا، أنــا كنـت بضـحك علـى نفسـي وأتجـاهل إحساسي والمواقف اللي بتحصلي وأبررها علميًا بس العلم مش مادي بس".

قال سليمان في فقد للأعصاب: "أنت مين وعاوز إيـه؟ ورينـا نفسـك، أنـا مـش خـايف منـك ومـش هسيبك تضر حد فينا، إحنا كلنا هنا مع بعض ومش هتقدر علينا، أنت مين؟".

يهتز النجف في شدة وكأن هناك من يتلاعب به وصوت خطوات ثقيلة تمر من فوق رؤوسهم في الدور العلوي وبكاء أطفال متواصل وصياح لصوت ضخم أفزع الجميع.

"٢٠" (الظهور الأول...)

نظرت "غادة" في ذهول إلى "حازم" وإلى كل الموجودين، وبدأت ترتجف وهي تتراجع إلى ناحية باب القصر وتقول: "لازم أمشي من هنا، لازم أمشي، خرجوني من هنا مش عاوزه أتعالج".

يجري خلفها "حازم" ليقف بينها وبين باب القصر ويقول: "استني إحنا مينفعش نخرج من هنا قبل ما نعرف إحنا بنواجه إيه؟، استني وثقي فيا وبعدين البيبان مقفولة من بره بحديد".. نظرت له غادة وهي دامعة العين في تردد لتقاطعهما "سلمى" بقولها: "لا إحنا لازم نمشي دلوقتي من هنا بأي طريقة وأنا طلبت إدارة البرنامج أكتر من مرة.. بس محدش بيرد عشان يشيل الحواجز الحديد اللي محطوطة بره من ساعة ما دخلنا في أول ليلة".

يلتفت "حازم" إلى سلمى في غضب ويسألها: "أنتِ كنتِ عارفة إن في حاجة في القصر ده؟ إنتي

قولتيلي مين صاحب الشركة اللي إنتي فيها؟".

تراجعت "سلمى" في خوف من نظرات "حازم" والجميع إليها بشكل هجومي وقالت بتردد: "لا مكنتش أعرف حاجة بجد ما أنا حصلي نفس اللي حصلكم!".. يسكتها حازم بكلمات عصبية: "مين صاحب الشركة دي وإزاي قدر يعمل ده كله وإزاي أخدتوا تصريح من وزارة الآثار عشان تيجيبونا هنا؟".

نظرت "سلمى" في رهبة وأجابت: "أنا قولتلك قبل كده إن صاحب الشركة هو "روهان" وهو نفسه صاحب القصر اللي ورثه من جده ، رستم والي باشا، اللي كان عايش في مصر من سنين وإحنا ماخدناش تصريح ولا حاجة لأن الملكية مثبتة في عقود رسمية".

ظهرت معالم الرهبة والخوف على وجه "حازم"، وقال: "أنا مش فاهم حاجة، يعني "روهان" ده بيكمل مسيرة جده ولا إيه؟ هو قاصد يجيبنا هنا ولا إيه؟ طب وليه؟ أنا مش فاهم حاجة خالص!".

قاطعته "غادة" وسط ذهول الجميع: "أنا فهمت دلوقتي كل اللي بيحصلي وكل اللي بيحصل هنا، رستم مش عاوز حاجة منكم، هو عاوزني أنا بالذات، وكل الحكاية إن في لعبة شيطانية حصلت و"روهان" كان أداة ناجحة فيها عشان ينفذ إرادة جده، رستم والي، أنا هحكي لكم كل اللي حصلي وأنتوا هتفهموا كل حاجة من الأول!".

اقتربت الشمس من الغروب وبدأت الجدران بالأنين وخطوات تتعالى في الغرف العلوية من القصر، بدأت "غادة" بقولها: "البداية عند موت بنت، رستم والي، الوحيدة، تومادر، واللي كان بيحبها بجنون وبيحلم يشوفها ملكة، ماتت في ليلة عيد ميلادها السابع بين إيدين، رستم باشا، ومكنش مصدق إنها ماتت، فضل جنبها أيام بيلاعبها وهي جثة مفيهاش روح لحد لما مراته اتدخلت وقالتله إنها ماتت خلاص، رفض إنه يستجيب ونزل بيها لمكانه اللي كان مخصصه كخزينة لخرائط ووثائق بيحتفظ بيها ودفنها في وسط المكان ده وفضل

تحت لأسابيع من غير أكل وشرب إلا حاجات بسيطة لحد لما قدر يستوعب إنها ماتت، لكن كان جزء في عقله رافض موتها وده بيظهر عليه في كل سنة من تاريخ وفاتها، وكان يخطف طفلة في نفس عمرها ويبدأ يتخيلها بنته لحد لما يفوق على حقيقة موتها ويحصله خلل ويقتلها ويدفنها جنب "تومادر" ومع مرور السنين ده بقى طقس أساسي بالنسبة له وكترت ضحاياه لحد لما جت طفلة وغيرت كل خططه، وكانت السبب في كشف حقيقته وموته وحبس روحه في ضلمة قبر صنعه جوه القصر ده، وهو جه دلوقت وعاوز ينتقم من اللي عمل فيه كده".

قال "علاء" في اضطراب وهو يعدل من نظارته ويمسح عرقه: "طب وإنتي مالك بكل ده وإحنا مالنا بكل ده؟".

رد "حازم" بطريقة لا إرادية: "إحنا كان لازم وجودنا عشان يبان الموضوع بشكله الطبيعي والمقصود بكل ده كانت "غادة" وبس".

صرخت "مادلين" فاقدة الشعور "ليه غادة بالذات؟ ليه؟".

نظر لها "حازم" في ثقة وهو يتجه برأسه إلى "غادة" الواقفة دامعة العين، "لأنها حفيدة البنت اللي هربت منه زمان، وكانت السبب في موته ولعن روحه وهو مش هسيبها ولا هيسيبنا نخرج من هنا إلا لما يدفنها زي ما دفن غيرها وينتقم منها ويستريح".

وضعت "بسمة" يدها أمام فمها في خوف، بينما وضع "سليمان" يده أعلى رأسه وبدأ يعود إلى تشنجه وتفرق الجميع بحثًا عن مخرج من ذلك القصر اللعين، ومضيفه الشيطاني الذي يحتجزهم، تاركين "غادة" في وسط القصر تنظر ناحية المدفئة التي اشتعلت من تلقاء نفسها معلنة التحدي.

في غفلة من "غادة" تظهر يد تمتد ملامسة لشعر"غادة"، وأخرى تقترب لتحيط برقبتها وتجذبها ناحية المدفأة بقوة وسط صراخ وفزع

من "غادة" و"مادلين"، التي تسمرت في مكانها تشير فقط من دون حديث.

يلحظ ذلك "علاء" فيقول: "يا دكتور حازم ألحق غادة"، ويعدو خلفها ويمسكها من قدمه ليتلقى ضربة من المجهول تلقي به إلى جانب الأثاثات، ويتبعه "سليمان" ويطوق "غادة" بيده فيتلقى ضربة هو الآخر تبعده ويتشبث "عادل" هو الآخر فينال نصيبه من الضرب.

قبل أن تصل "غادة" جرًا إلى المدفأة يقف "حازم" فاصلاً بينها وبين المدفأة في تحدٍ واضح لشخص خفي يقيد "غادة" ويطوقها من رقبتها، فجأة تقع "غادة" أرضًا في محاولة للحصول على هواء ينعش رئتيها من أثر الخنق وتهرع إليها "سلمى" لتجذبها وتساعدها في الهرب بعيدًا.

ينظر "حازم" إلى المجهول في قلق وتوجس مما سوف يحدث، يصدر صوت من العدم يحدد مصدره باتجاه المدفئة يعود إلى "رستم والي" يقول، "أنت مش واقف في مركز قوة، أنت مش ند

أصلا، سيب القدر يحدد مين الأحق بالحياة؟".

يرتعد حازم ويلتفت إلى مصدر الصوت باتجاه المدفئة المشتعلة ويقول: "وأنت مش من حقك تحصد أرواحًا، أنت مش "رستم" من الأساس، أنت شيطانه".

يسمع صوت "رستم والي باشا" يتردد في كل أركان القصر بقوة وبكلمات مختلفة: "تومادر، رستم باشا، موت، قدر، روحك، شيطان"، يلتفت حازم حول نفسه في خوف بينما يضع الجميع أياديهم على آذانهم من قوة الصوت.

نار المدفأة تتأجج خلف حازم لتشكل شخصًا من نار تشبه ملامحه ملامح "رستم والي باشا"، وهي تنفصل عن بقية النيران وتخطو أولى خطواتها خارج المدفأة.

تصرخ "غادة" بفزع في محاولة لتنبيه حازم بصرخة: "حازم، النار وراك اهرب".. يلتفت حازم ليجد هيكلاً للنار تتشابه ملامحها بملامح "رستم"

يصرخ بقوة، ثم يعود إلى النار الدارجة في لحظات قليلة.

نظر "حازم" إلى "غادة" وقال: "أنا قولتلكم إننا نقدر ننهي الموضوع ده هنا ودلوقتي في الليلة دي بالذات".

قالت "سلمى" في تعجب: "أشمعنى الليلة دي بالذات يعني؟".

ردت "غادة" في خوف: "لأن الليلة دي هي نفس تاريخ وفاة "تومادر" بنت رستم والى باشا".

قالت "مادلين" في خوف: "وده معناه إنه كان محدد إنه ينتقم منك في الليلة دي بالذات، ده مرتب لكل حاجة".

قال "حازم" في محاولة إنكار ونزع تلك الفكرة من رؤوس الجميع: "إلا لو إحنا اللي خلصنا الموضوع قبله إحنا لسه مع بعض، بس إزاي؟".

نظرت "غادة" إلى "حازم"، وقالت وهي تشرح: "أنا

عارفة إزاي، إحنا لازم نخرج عظم البنات بره القصر بأي ثمن، وبعد كده نخرج عظمه هو كمان بره وندفنهم بشكل طبيعي، ده اللي قلهولي حد مش عارفة هو عايش ولا ميت هو كمان".

قال "سليمان" في جدية: "إحنا لازم ننزل تحت ليه ونخرجه هو ونخرج عضمهم كله وندفنه بره، صح كده؟".

رد عليه "عادل" في تردد: "بس إزاي هننزله يعني كده عادي؟".

قال "حازم" ليهدأ الوضع: "مش لازم ننزل كلنا، ممكن حد يفضل هنا عشان لو احتجناله وكمان حد يدور على مخرج عقبال ما نشوف الحكاية اللي تحت".

قالت "بسمة" في حزم: "أنا هفضل هنا أحسن لو احتجتولي، أنا ومادلين".

نظرت لها مادلين وقالت: "لا أنا هنزل معاكم اللي عاوز يفضل هنا يفضل براحته".

قـالت "سـلمى" فـي خـوف: "طـب هنـنزل إزاي وهنعدي إزاي من الدفاية المولعة دي".

قال حازم: "أكيد ليها زرار أو إيد تتفتح بيه الدفاية دي، دوروا معاية!".

اقترب "عادل" من المدفئة وسحب "سيخ حديدي" مشتعل وأدخله وسط النار وأخذ يحركه حتى اصطدم بشيء، جذبه للخارج لتنفتح المدفئة راسمة طريقًا من نار مثلما شاهدوا من قبل في اللوحة ومعها صوت تصفيق في كل مكان بالقصر وصوت صفير يؤذي السامعين له في تحدٍ واضح.

"٢١" (المواجهة...)

فتحت المدفئة راسمة ممرًا من نار مشتعلة، ابتلع الجميع ريقهم في جفاف وحنق، الأطراف ترتعش والظلام يسرد رواية مؤلمة مخيفة، ونهايتها أن الجميع سيدفن في مكانه ويهلك، لا وجود لمفاتيح الكهرباء أو ما يدل عن دائرة كهربائية وحيدة.

مزع عادل قطعة من القماش وربطها بقوة حول جزء من خشب كان وسط المدفئة ولم يشتعل بعد، اقترب من النيران وجعلها تأكل في قطعة القماش برفق، فعل حازم المثل وتقدم المسيرة يضيء للآخرين ويبدد الظلام المتكتل فقطع لا نهاية لها تسد الرؤية وتمحو الأمل.

هناك ممر يقود إلى ظلام هابط للأسفل، إنه أشبه بقبر قارس البرودة ينتج الظلام كخط إنتاج متواصل، خطوات حذرة قطعها الجميع على صفين أحدهما يقوده حازم ومن خلفه سلمى المتشبثة به، ويليهما مادلين وعلاء في خوف،

والآخـر يقـوده عـادل ومـن خلفـه غـادة ويتبقـى سـليمان المتـأخر نسـبيًا يحـاول تفقـد مـا لا يكـاد رؤيته.

وصـل الجميـع أمـام تلـك الحفـرة غريبـة الشـكل، اقتـرب حـازم ووجـه الشعلة ليظهر بـوادر لسلالم تقود إلى الأسفل لتزيد الأمر سوءًا، لا تساع سوى لفرد واحد.

نظر الجميع إلى بعضهم وقال حازم: "السلالم دي بقالها سنين كتيرة ومش عارفين ممكن تقع بينا ولا هتمسك نفسها، لازم حد ينزل الأول".

اقترب سليمان وجذب الشعلة من حازم وقال: "أنا أخـف واحـد فـيكوا، مـن الرجالـة طبـعًا، أنا هنزل الأول وأنتـوا خلـيوا ورايـة خطـوة بخطـوة"، أشار الجميع بالموافقة.

لامست قدم سليمان أول سلمة في خوف وتردد وثبتها جيدًا وأحضر الأخرى ليطمئن من وقوفه، فعل المثل في السلمة التي تليها واستكمل طريقه،

اطمئن الجميع لصلاحية السلم وتتبعوه.

في منتصف دائرة السلم المستدير حول جدار متآكل وظلام ينتظر في الأسفل سمع الجميع صوتًا لرجل يتمتم من الأعلى ببعض الكلمات غير المفهومة، أدار عادل شعلته ليبدد الظلام من أعلى السلالم فلم يجد أحدًا، نظر إلى من أسفل منه وقال: "مفيش حد يلا نكمل نزول"، لتصرخ سلمى وهي تشير خلف علاء لينظر مسرعًا ليجد وجه رستم بالقرب منه ويدفعه ليقع الجميع متألمين حتى أسفل السلم.

دماء سالت من جسد البعض وأصيب علاء في رأسه ووضع يده ليوقف نزيفه وهو يتألم، أحضر عادل الشعلة ورفعها قبل أن تنطفئ فوجد أن هناك عدة شعلات معلقة على الجدران توجه مسرعًا ليشعلها جميعًا.

إنهم الآن في حجرة لها مخرجان، السلالم أو باب ضخم قديم يفصلهم عن المقبرة وجسد رستم والي باشا، اقترب حازم من الباب وقبل أن يلمسه

تحـركت الأرض بقـوة وهبطـت أتربـة وقطـع مـن الصخر فوق رؤوس الجميع ليسقط الجميع أرضًا حتى توقفت.

أمسكت مادلين إحدى الشعلات وقالت: "أنا هرجع تاني لبسمة أنا مش عاوزة أموت هنا"، ثم هرولت إلـى أعلـى حـاول عـلاء منعها لكنها وخذته بقوة وأشار حازم له أن يتركها.

أغمض حازم عينيه ووضع يده على الباب ودفعه ببطء ليخرج هواء قارس البرودة وصوت صفير للريـاح قـوي يجعـل شعرهم يتطاير، جسد ملقى أرضًا يخص رستم والي يضم يده على مفتاح ما، ولكـن لـم يلحـظ تلـك الحركـة أحـد بسـبب ظـلام الغرفة.

تشبث الجميع ببعضهم البعض داخلين إلى الغرفة ليجـدوا مكتـبًا يعلوه أوراق متراصة فـوق بعضها البعض، وهناك في وسط الغرفة جسد مرتمي فوق جزء معدني تفطن الجميع لمن ينتمي هذا الجسد.

أغلق الباب فجأة وبقوة التفت الجميع بفزع نحو الباب، انطفأت الشعلات من تلقاء نفسها، وأصبح الجميع حبيس الظلام، ضحكة تخص شخصًا يكره الجميع "رستم والي باشا" ترن في أرجاء الحجرة، اشتعلت النيران من جديد من تلقاء نفسها.

لا وجود لجسد "رستم"، لقد اختفى وسط الظلام مما ازداد من رهبة الجميع، سلسلة مغلقة بقفل ضخم موضوعة فوق باب يقود لأسفل، مع كل خطوة يخطوها الجميع بكاء أطفال وتصفيق يزداد.

وصلت مادلين إلى أعلى السلالم ولديها شعور بأنها مطاردة، نظرت لها بسمة من الجهة الأخرى وأشارت لها أن تخرج، توجهت مادلين في طريقها إلى الخروج ليظهر خلفها جسد رستم يزحف طلوعًا على السلالم، تصرخ بسمة وتحذر مادلين، تنبهت لما يحدث وأرادت أن تركض فأمسكها رستم من قدمها وأوقعها أرضًا وسط صراخ من مادلين وبسمة، المدفأة تغلق من تلقاء نفسها

ومادلين تشير إلى بسمة أن تساعدها.

رجعت بسمة إلى الخلف في فزع، تاركة المدفأة تغلق ببطء على مادلين التي تستغيث، ووسط صراخ الاثنتين اندفعت بسمة قبل أن تغلق المدفأة بالكامل وأمسكت الشعلة ووضعتها في وجه رستم الذي اشتعل وأخذ في الصراخ وهو يدور فوق السلالم مشتعلاً حتى وصل إلى القاع أمام الغرفة.

طرق أسفل الغطاء الحديدي وأصوات أطفال يستغيثون، وهناك من يصيح بهم أن يصمتوا، تراجع الجميع بعد أن كانوا مقبلين على القفل ويريدون كسر السلسلة، همدت الأصوات واقتربت غادة وتبعها حازم يحاولان فتح القفل مرة أخرى، ولكن من دون جدوى، قال سليمان: "خلوني أحاول أنا". ابتعد الاثنان واقترب سليمان وأخرج سلكًا معدنيًا وأخذ يعافر في فتح القفل الصدئ حتى تمكن منه، أزاح السلسلة الثقيلة فسمع طرقة وقع أرضًا وابتعد.

نظرت غادة إلى حازم في توجس وهي تقترب،

وضع حازم يده أمامها في إشارة أن تنتظر وهو من سيذهب، أمسك بقبضتي الغطاء الحديدي بقوة وحاول جذبهما معًا فلم يقو، ترك واحدًا وأمسك الآخر بكلتا يديه فكانت النتيجة إنه مازال ثقيلاً، اقترب سليمان وأمسك بالآخر وعد حازم"١، ٢، ٣ شد معايا"، فلم يفتح الغطاء، قال سليمان: "دة تقيل أوي وعاوز عتلة أو حاجة نقدر نتملك منها".

ازدادت الطرقات فجأة ومعها صوت صراخ الأطفال ابتعد الجميع خطوات للخلف، وفجأة طار جزء من الغطاء لتخرج عدة أيادٍ لأطفال صغيرة.

ظهر جسد "رستم والي باشا"، المشتعل خلف الجميع خارج الغرفة يزحف محاولاً الدخول إلى الغرفة وهو يصيح بكلمة "تومادر، تومادر"، التفت الجميع في خوف وتوجه حازم إلى الباب وأغلقه بقوة ووقف خلفه ليمنع دخول رستم.

الباب يطرق بقوة ويكاد يطيح بحازم من قوة الدفع من الخارج مع صياح رستم، هرع علاء لمساندة حازم وسحب سليمان المكتب الثقيل

بمساعدة سلمى ليسندوا به الباب حتى هدأ الصوت من الخارج.

التفت الجميع إلى الظلام بحثًا عن غادة ليجدوها تخرج عظام أجساد لأطفال صغيرة وتضعهم متراصين بجانب بعضهم البعض، بحث الجميع عن شيء ليضعوهم به فوجدوا صناديق من الأخشاب، أفرغوا ما بها سريعًا وبدأوا بوضع الأجساد الصغيرة داخلها، ٦ أجساد لأطفال صغيرة، أحكموا الغلق ونظروا إلى الباب بتأهب وخوف.

الباب يطرق برفق تلك المرة، تراجع الجميع للخلف في خوف وفزع، صوت مادلين في الخارج وبسمة يرتجفان، اتجه حازم وسليمان ودفعا المكتب الثقيل وفتحا الباب ليجدوهما يبكيان ويستغيثان.

طمأنهما حازم "خلاص كل حاجة قربت تنتهي، نخرج بس من هنا وكل حاجة هتكون تمام".

صرخت مادلين بفزع: "المدخل اتقفل علينا من بره، هنخرج إزاي".

قال سليمان: "زي ما في طريقة لفتحه من بره أكيد في طريقة لفتحه من جوه".

خرج الجميع وصعدوا إلى السلالم وظلوا يبحثون عن يد لفتح المدفأة من الداخل، لاحظت سلمى اختفاء غادة، صرخت وقالت: "غادة؟ غادة فين؟"

وضعت بسمة يدها في خوف أمام فمها وبكت مادلين ومسح علاء رأسه بأسى، هرع سليمان وعادل وتبعهما حازم إلى الأسفل مرة أخرى، وعندما وصلوا إلى الأسفل كان الباب مغلقًا وهناك صوت رستم يتحدث إلى غادة: "تعالي يا غادة قربي متخافيش، إنتي قدرك اتكتب من زمان، زمان أوي قبل ولادتك، مش الدين بيقول كده، صح؟".

ردت غادة "أنت مين أدالك الحق إنك تموت ناس وعشان مين، وليه؟".

قال رستم بغضب وضعف وهو يتلفت حول نفسه ثم ثبت نظره على مكان مظلم: "الحق اكتسبته منه

وعشانه وده عهدة".

قالت غادة: "هو مين ده؟" نظرت لتجد خيالاً يقف في الظلام تظهر حدقت عينيه بحمار متخفٍ في الظلام، صرخت وقالت: "مين ده؟ هو مين، أنت عملت إيه في نفسك بالظبط؟".

قال رستم: "عهد يا غادة، عهد لازم أوفيه، تعالي معايا وكل حاجة هتنتهي".

صرخت غادة وهو يقترب منها ولون عينيه يتغير إلى الأسود، اقتحم حازم الباب وفزع من المشهد، رستم يمسك بغادة ويريد أن يهوي بها داخل حفرة الدفن، وهناك بإحدى الزوايا خيال لمسخ يقف في الظلام ويكتفي بالمشاهدة فقط.

يمسك حازم بغادة ويدفع رستم إلى الحفرة ويهرع سليمان ويحاول إغلاق الحديد عليه فيدفعه بقوة ويقف من جديد ويركله ويساعده حازم حتى يغلقوا عليه الحديد ويضعوا القفل وسط صياح منه.

هرول الجميع صعودًا إلى أعلى السلالم ليجدوا المدفأة قد فتحت، يخرجوا ويغلقوها خلفهم ويجلسوا أرضًا في خوف وإرهاق شديد مما شاهدوه غير مصدقين لما حدث في الأسفل.

ضوء الشمس يمسح أرجاء المكان ويتخلل الحجرات ماحيًا كل الخوف وفزع الليل يغادر وهو يستشيط غضبًا، اتجه حازم إلى باب القصر فوجد الحواجز قد زالت، خرج الجميع يهرول إلى الخارج ومعهم الصناديق.

قالت بسمة: "هنعمل إيه في اللي جوه الصناديق دي؟".

نظرت غادة فوجدت أن ذلك الرجل الوقور يقف بالقرب من القصر ويشير لها أن تأتي خلفه قالت: "تعالوا ورايا أنا عارفة ممكن ندفنهم فين!"، وهرولت خلف الرجل ليتبعها الجميع حاملين الصناديق برفق.

وقف الرجل أمام مكان خالٍ إلا من بعض الشواهد

لقبور وقال: "دي قبور أهاليهم، هنا هيحسوا بالأمان اللي محسهوش من سنين يا بنتي".

قال مناديًا على غادة: "إنتي فين يا غادة؟"، التفتت لحازم وأشارت له وعادت تنظر مرة أخرى إلى الرجل فلم تجده ولكنها وجدت مسبحته تلتف فوق شاهد أحد القبور، ابتسمت وقالت: "هندفنهم هنا يا حازم، أنا عارفة هما هيكونوا هنا مستريحين".

وقف الجميع أمام شواهد ستة لقبور أطفال ستة استراحت أرواحهم لأول مرة منذ أعوام طويلة، أمسك حازم بيد غادة:

- مش يلا بينا بقى نرجع لحياتنا؟!

ابتسمت غادة، وهي تنظر إلى يديهما المتشابكة وقالت:

- يلا بينا يا حازم.

في ظلام القصر يجلس "رستم والي باشا"على

كرسيه الخاص يقلب عينيه في الظلام ويبكي مناديًا على ابنته قائلاً: "تومادر، تومادر، أخدوكي ليه"، ويصدر صرخة تصم الآذان، رافضًا ما حدث وما سيحدث، لقد أصبح سجينه داخل القصر لعمر إضافي.

تمت بحمد الله

المؤلف في سطور

محمود محمد محمد محمود وهبة

حاصل على ليسانس حقوق عام ٢٠٠٩/٢٠١٠

صدر للمؤلف:

أ-رواية"صاحب الخطوة" ٢٠١٥.

ب-رواية "الطوارق" ٢٠١٥.

ج-رواية "المخطط" ٢٠١٥.

د-رواية "لعنة نوبار" ٢٠١٦.

هـ-رواية"المشرحة" ٢٠١٦.

و- رواية "البيت القبلي "٢٠١٧.

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

